DUPLICATE
CU07848200

Columbia University
in the City of New York

LIBRARY

رفائيل بطي :

سحر الشعر

— الجزء الاول —

مجموعة مقالات ، وقصائد عصرية ،
في الشعر والشعراء ، للزهاوي ، والرصافي ،
وصروف ، وجبران ، والعقاد ، ونعيمه ،
وواصف ، والرافعي ، وشكري ،
والمنفلوطي ، والخطيب ، وغيرهم ...

طبع بنفقة وعناية :

محمود حلمي

صاحب المكتبة العصرية في بغداد

وحقوق الطبع محفوظة له

١٣٤١ هـ « المطبعة الرحمانية بمصر » ١٩٢٢ م

الأستاذ جميل صدقي الزهاوي

سحر الشعر

الجزء الاول

مجموعة مقالات وقصائد عصرية فى الشعر والشعراء
لنخبة من نوابغ أدباء العصر

منهم : الزهاوي ، والرصافي ،
وصروف ، وجبران ، والعقاد ،
ونعيمة ، وواصف ، والرافعى ،
وشكري ، والمنفلوطي ،
والخطيب ، الخ

عني بجمعها وعلق حواشيها
رفائيل بطي

طبع بنفقة وعناية
محمود حامى
صاحب المكتبة المصرية فى بغداد

١٣٤٠ هـ (المطبعة الرحمانية بمصر) ١٩٢٢ م

Coth
Buttī, Raphael
Sahr al-shi'r!"

COLUMBIA
UNIVERSITY
LIBRARY

حقوق الطبع محفوظة
للمكتبة العصرية في بغداد

36-10571

893.78
B983

الى القارىء

هذه مجموعة مقالات وقصائد عصرية فى الشعر والشعراء لنخبة من علية الأدباء وأساتذة الشعر من عرب وافرنج وهى الجزء الاول من كتاب يشتمل على ثلاث حلقات :

الاولى : مقالات وقصائد فى الشعر والشعراء
الثانية : ابحاث انتقادية فى الشعر والشعراء
الثالثة : أمثلة من الشعر الراقى — العربى والافرنجى

بغداد فى ١ نيسان (ابريل) ٩٢٢ رفائيل بطي

محاضرة في الشعر

بقلم جميل صدقي الزهاوي

الاستاذ جميل صدقي الزهاوي – هو ابن الزهاوي الكبير مفتي بغداد العلامة السيد محمد فيضي واسم أمه فيروذج وهو من أسرة كردية كريمة . وينتسب أبوه الى امراء الاكراد البابان وهؤلاء ينتسبون الى خالد بن الوليد .

ولد جميل صدقي الزهاوي في بغداد في اليوم التاسع والعشرين من ذي الحجة سنة ١٢٧٩ هـ يوم الاربعاء الموافق ١٨ حزيران سنة ١٨٦٣ . وقال الشعر في العربية والفارسية وهو صبي وأخذ يجيده فيهما وهو ابن الثلاثين ولم ينشر شيئاً يذكر من شعره حتى بعد الثلاثين من عمره .

وقد مارس العلوم العصرية والفلسفة حتى اشتهر في الاقطار العربية جمعاء وعين عضواً في مجلس المعارف في بغداد وهو لم يبلغ الثلاثين ربيعاً . ثم مديراً لمطبعة الولاية ومحرراً للقسم العربي

من الجريدة الرسمية المسماة « الزوراء » ثم انتخب عضواً لمحكمة الاستئناف في بغداد

ونشر مقالات وابحاث عدة فى مجلة المقتطف الشهيرة وكذلك رسالته فى « الخط الجديد » ورسالته فى « سباق الخيل » وكتابه « الكائنات » فى الفلسفة . وقد أصابه وهو في عز شبابه داء عضال فى نخاعه الشوكى سلبه الراحة ولم يبرأ منه الى اليوم وأصاب رجله اليسرى شيء من الشلل وهو فى سن الخمس والخمسين . وهو اليوم فى الستين من سنيه نحيل الجسم رخو الاعضاء لا يستطيع السير خمس دقائق لذلك تراه يركب اتانا بيضاء للسير فى الطريق وأكثر ما يشكوه هو آلام عصبية قد برحت به .

وقد كبر شأنه بعد سفره الى الاستانة قبل ٢٦ سنة وقد عرج فى طريقه اليها على مصر فقابل فيها منشيء المقتطف الاستاذين الدكتورين صروف ونمر والفيلسوف الدكتور شميل والمؤرخ الكبير مؤسس الهلال العلامة جرجي زيدان والعلامة اللغوي الكبير الشيخ ابراهيم اليازجي ولقي منهم ومن غيرهم حفاوة . ولما حل فى الاستانة أخذ الجواسيس يتعقبونه واذ علم عبدالحميد بأن عدداً من المحررين يترددون عليه أوجس منه خيفة فاوعز

الى أبي الهدى ألا يغفل عنه طرفة عين . وأراد بعد سنة أن يرجع الى بغداد فاذا بالسلطان يصدر إرادة سنية يأمر فيها بأن يلتحق الاستاذ الزهاوي بالبعثة التي كانت قد تألفت للذهاب الى اليمن لاصلاح شؤونه . فذهب اليها ورجع بعد سنة الى دار الخلافة فأحسن السلطان مكافأته على ما بذله من الخدمات بانعامه عليه بالوسام « المجيدي الثالث » ورتبة بلاد خمس الموصلة . ورأى بعد رجوعه أن عيون السلطان لم تزل تتأثره فساءه ذلك واستأذن في الرجوع الى وطنه فلم يسمح له بذلك والظاهر ان القوم كانوا يخشون أن تكون وجهته غير بلاده .

والذي قاساه في الاستانة بعد رجوعه من اليمن كان شديداً حتى ضاق صدره فنظم بعد سنة قصيدة يطعن فيها بسياسة عبد الحميد وسلوكه . وقد أنشدها أبا الهدى في داره وهذا كتب بها تقريراً الى جلالة السلطان . فكان ذلك مدعاة سجنه مع العلامة الشهير « الزهراوي » وصفا بك الشاعر التركي الشهير ثم نفي صاحب الترجمة الى بلاده على أن يبقى رهينها ولا يبرحها الى غيرها

وقد تجلت شاعرية الزهاوي بعد رجوعه من الاستانة إلى

بغداد منفياً فانه أخذ ينظم القصيدة تلو القصيدة وينشرها بتوقيع مستعار فى المقطم والمؤيد والمقتطف . وقد كتب مقالات فلسفية عدة وكشف فيها عن آرائه فى حقائق الكون مما خالف بذلك آراء كثيرين من الفلاسفة المعاصرين مدعماً أقواله بالادلة المبنية على قواعد العلوم العصرية .

وظل الاستاذ الزهاوي ينشيء المقالات الفلسفية وينظم الشعر الذي غلب عليه الاجتماعي منه يريد بذلك استنهاض الامة العربية وإيقاظها وما زال يهزها بشعره مدة تسع سنوات وقد أثرت قصائده فى شعر العصر فاحدثت انقلاباً وتطوراً جديداً فى الادب العربي وطفق كثير من الشعراء يحذون حذوه وينسجون على منواله .

ولما جاء الدستور أخذ الاستاذ الزهاوي والاستاذ الرصافى يخطبان فى الناس ويعلمانهم فوائده . ورحل الزهاوي فى أول عام للدستور الى الاستانة ، فعين فى أكبر مدارسها وهو المكتب الملكى أستاذاً للفلسفة الاسلامية . ومدرساً للآداب العربية فى شعبة الادب (من دار الفنون) . وكتب فى هذه المدة مقالات فلسفية عدة باللغة التركية نشرتها مجلات الاستانة الكبرى .

ولما اشتدت عليه وطأة المرض نقل إلى بغداد ونصب أستاذاً للمجلة في مدرسة الحقوق فيها . ولما كان فى أثناء تدريسه المجلة يراسل مجلة المقتطف وجريدتي المقطم والمؤيد . ينشر فيهما القصائد والمقالات حتى نشر مقالته الشهيرة في المؤيد في الدفاع عن المرأة فهاج لها الناس وماجوا فى بغداد وأخذوا يشيعون أنه تحامل على الشريعة الغراء . وذهبوا متجمهرين الى والي بغداد وهو يومئذ ناظم باشا يطلبون منه عزل الزهاوي من منصبه فاضطر الى عزله . وكان سخط الجمهور عليه فى ذلك شديداً اضطر له الاستاذ الفيلسوف أن يلزم داره نحو أسبوع خوفاً على حياته . وفى هذه الآونة نشر مؤلفه « الجاذبية وتعليلها » فى بغداد وقد ذهب فيه مذهباً يخالف مذاهب حكماء عصره أجمعين فارتأى أن المادة لا تجذب المادة بل أن المادة تدفع المادة وأبان أن الحجر الذي يسقط على الأرض لا يسقط لجذب الأرض إياه بل لدفع السماء له إلى الأرض وأورد على ذلك الأدلة ذات الشأن . فكتب المقتطف ينقد الكتاب ويرد على فكرته فأجاب الاستاذ العالم راداً على نقده وهكذا تكرر النقد والرد مرتين .

ثم أنشأ رسالة باسم « الدفع العام والظواهر الطبيعية والفلكية »

نشرت تباعاً فى الجزء الاول والثاني والثالث من المجلد الحادي والاربعين للمقتطف . أيد فيها ما كان يذهب اليه من وضع الدفع مقام الجذب لتعليل ظواهر الكون . وصار يعلل أنواع الجاذبيات بناموس واحد وهو دفع المادة للمادة بسبب الكتروناتها التي تشعها بكثرة وأخذ يعلل بمبدئه المدني المتقابلين فى وقت على الأرض . ما كان يعجز عن تعليله العلماء على مبدأ الجذب . وهو الذي قال قبل كل أحد فى كتابه « الكائنات » بابتناء جواهر المادة من قوى دقيقة تدخل فيها وتخرج على الدوام وهي الالكترونات وأوضح فى رسالة الدفع العام سبب ارتباط النظام الشمسي بعضه ببعض وقال بتولد الحرارة والنور فى الشموس من الأثير المنعكس عن مراكزها بعد جريانها اليها حفظاً للموازنة التي لا تزال تختل بطرد الالكترونات له من بين الجواهر فى كل جسم بينا أن هذا الاثير الجاري إلى الاجرام هو الذي يدفع الاجسام اليها فيزعم العلماء هذا الدفع الخارجى جذباً داخلياً وبين بمبدئه سبب حدوث الزلازل وشرح حالات ذوات الاذناب وأماط اللثام على توجه أذنابها إلى خلاف جهة الشمس وعلى سبب ابتعادها عن الشمس بعد ان تدور حولها دورة ناقصة وعن بقاء

القوة وعن حقيقة الشمس وقال بانحلال الشموس الى السدم منكراً تولدها منها .

ثم أعيد الاستاذ الى تدريس المجلة فى ولاية جمال باشا . ثم انتخب نائباً عن المنتفق فذهب الى الاستانة . وانحل المجلس بعد أشهر من اجتماعه فعاد الزهاوى الى وطنه وانتخب نائباً عن بغداد فذهب الى القسطنطينية ثانية وقد دافع فى البرلمان العثماني دفاع الاحرار عن حقوق العرب والعراقيين فى مواقف عديدة كما ذاع ذلك فى الصحف مما نم عن وطنيته الصادقة وحرية ضميره .

وقد أشغل الاستاذ الزهاوى بعد الاحتلال الانكليزى منصب رئيس للجنة تعريب القوانين فى دائرة العدلية براتب قدره ٦٠٠ ربية

فلسفة الزهاوي

لا يتسع المجال للتبسط فى ذكر فلسفته ومباديه بل نرجئ ذلك إلى فرصة ثانية[1]

---

(١) وضعت كتاباً بموضوع « فيلسوف بغداد في القرن العشرين » أتيت فيه على حياة الاستاذ الزهاوي وأعماله وأفكاره وشرح فلسفته .

الزهاوي الشاعر

لقد حكمت صحافة العالم العربي وكثير من نقدة المستشرقين على أن شعر الزهاوي من أعلى طبقة بين الشعراء المعاصرين وأنك لتشعر بالجزالة العربية ، والمتانة لدى تلاوتك غرر قصائده كما أن شعراء هذا العصر بحثوا فى الحياة ونواميسها فى شعره ، ولا نكران ان للاستاذ الزهاوي بعض الابيات والقصائد التي هي دون شعره ولعل لذلك عذر السرعة فى النظم . فهو مكثر ولا يجاريه شاعر عراقي فى اكثاره من النظم ، وسريع كذلك . فقد يكلف بموضوع لحفلة كبرى ، فيأتيك فى اليوم التالي بقصيدة عصماء أقل ما تكون ثلاثين أو أربعين بيتاً . وما أبعد النسبة بين شعره فى الايام الأخيرة ، وبين ديوانه الاول الذي لا يكشف عن شاعريته . وهو الذى نشر في بيروت باسم « الكلم المنظوم » ونحن نعلم ان الاستاذ هذب ديوانه الاول وصححه على نية تمثيله للطبع مع خمسة دواوين أخرى له لا تزال خطية .

ونقد شعره وكتاباته وآراءه الاجتماعية والأدبية . على طريقة النقد الحديثة وسوف لا يطول الزمن على نشره بالطبع ، فلينتظره عشاق الابحاث الدقيقة فهو لا يبحث عن فيلسوفنا الزهاوي وحسب بل هو عبارة عن تاريخ العلم والأدب في بغداد في الخمسين سنة الأخيرة .

أما ديوانه الأول فيجمع أوائل شعره الى زمن الدستور العثماني باسم « الكلم المنظوم »

والثاني يجمع شعره من تاريخ الدستور الى الاحتلال البريطاني في بغداد وقد أسماه شاعرنا « بعد الدستور » والثالث يتضمن ما نظمه الاستاذ من تاريخ الاحتلال حتى قدوم جلالة الملك فيصل المعظم وعنونه بـ « هواجس النفس » وأما الرابع فهو شعره من ذلك التاريخ إلى كتابة هذه السطور ،وقد رسمه ب « بقايا الشفق »وديوانه الخامس مبتكر من دووين العصريين إذ يحوي رباعيات فقط بعنوان « رباعيات الزهاوي »وهي الرباعيات التي تنشرها يومياً جريدة العراق الشهيرة الصادرة فى بغداد ، في صدر كل عدد من أعدادها . وقد كان لها ضجة فى عالم الأدب وتناقلتها معظم الجرائد والمجلات العربية في مصر والشام والمهجر. والشائع أن له ديواناً سادساً دعاه بـ « نزغات الشيطان » ولا ريب أن يعرف موضوعه من عنوانه . ويبلغ مجموع شعره عشرة آلاف بيت تقريباً. وله مختارات دواوينه كلها واسمها «الشذرات» وقد اختار من المجاميع الأدبية والدواوين الشعرية زهاء ١٧٠٠ بيت مع شرحها سماها « عيون الشعر » وقد نشر منها نماذج

في بعض الصحف البغدادية ويغلب على شعره الحكم والامثال وفلسفة الحياة اليومية والدفاع عن المرأة وفيه دلالة صريحة على حرية فكره وبعد نظره وشعور رقيق مع جزالة في اللفظ ومتانة في الاسلوب ولا نكران في أن الزهاوي مجدد الشعر في العراق وهو الذي خرج به من مضيق التقليد إلى فضاء الاطلاق متحاشياً المبالغات ومسايراً لروح العصر[1]

وقد ألف الزهاوي كتاباً في ألعاب الدا ماسماه «أشراك الدا ما» جمع فيه ٥٠٠ لعبة لغيره من المشاهير و ١٠٠ لعبة من مخترعاته . واستنبط لتصوير هذه الالعاب طريقة بالارقام فاستغنى عن خط جداول ووضع الحجارة شكلين . وقد نشرت مجموعة دار الفنون دروسه التي كان يلقيها على طلبة المكتب الملكي في الاستانة باسم « حكمت اسلاميه درسلرى »

ونشرت رسالة في الخط الجديد الذي اخترعه في مجلة المقتطف المعروفة .

---

(١) راجع الفصل المعنون بـ « الفيلسوف والشاعر أو جميل صدقي الزهاوي ومعروف الرصافي » في كتابي « فيلسوف بغداد في القرن العشرين » وكذلك مقدمة كتابي « الادب العصري في العراق العربي » الذي يمثل بالطبع اليوم .

نثر الزهاوي

يمتاز الزهاوي عن كثير من شعراء العراق بل شعراء العصر وادبائه بمتانة تراكيبه وفصاحة ألفاظه واحكام عباراته في نثره وهو عندي أكبر كاتب عراقي عصري في النثر بعد الاستاذ محمد حبيب العبيدي الموصلي.

وصف الزهاوي

ويحسن بي هنا أن أنقل الى القراء وصف مجمل للاستاذ الزهاوي وهو قطعة من مقال طويل اقترحته عليّ كتابة مجلة الناشئة البغدادية بمناسبة صدور العدد الممتاز من جريدة العراق سنة ١٩٢٢ . نقلت بعنوان :

(لامية الزهاوي : اندفاعات)

الفيلسوف : الاستاذ الزهاي . شيخ الأدب والفلسفة في بغداد ، ذو الجاه العريض في عالم القريض ، أحد أنصار المرأة الشرقية القليلين — وقد اضطهده وطنيوه لهذه النصرة . في يومها — عرف بذكائه الوقاد وقريحته العجيبة . وهو اليوم شيخ مسن بينما تجده ملقى على سريره في داره يناجي (نيرف) و (كاليوبي) و (أراتو) ساعة يستنزل الوحي ليضمنه آياته الشعرية ،

تراه بعدها في (قهوة الشط) — رحمها الله يلعب بالنرد أو تبحث عنه فتلقاه في ناد أدب وظرف وقد التف حوله القوم على اختلاف طبقاتهم ، يلقي عليهم من نكاته ولطائفه ما ينعش صدورهم أو تلقاه في مجلس أصحابه وأودائه . يداعبهم باقواله التي يخالطها المجون أحياناً وينشدهم في فتراته المتقطعة شيئاً من شعره القديم أو الحديث على الاكثر بصوته المتهدج وقهقهته التي تكشف عن سلامة قلبه . أو ربما شاهدته في الشوارع على ظهر أتانه البيضاء التي عرفت بحمارة الزهاوي ووراءه خادم بسيط . تدنو منه فتقرأ على وجهه الناحل وفي عينيه البراقتين وأسارير جبهته أثر الاشتغال الطويل بالاشغال العقلية وشعره الاشمط المتدلي على فوديه ولحيته الخفيفة يمثلان لك زهد الفلاسفة وتقشفهم ، يحب الملح والفكاهات ويحفظ في ذاكراته منها طائفة كبيرة ، مفرط في شرب الدخان باللفافة ، ويدخن النارجيلة في القهوات وبعض المجتمعات العامة . بسيط في ملبسه ومأكله . زرته أنا ونفر من الاصحاب في عيد فاذا به جالساً وحده يطالع كتاباً في الفلك . احتفى بنا بما طبع عليه من الاتضاع واللطف وطفق يطرفنا بحديثه الطيب عن الأدب ورجاله ومحاسن الشعر وهو يكلمنا تارة وطوراً ينظر إلى جرو له أسود دعاه (ولك)

كان جاثياً بقربه ولما أخرج لنا — كيسه الشعري — مستودع منظوماته وقصائده وصحائف فلسفته ، استيقظ الجرو وصار يدور حوله ثم يهجم على الكيس ويلعب باوراقه وفيلسوفنا يلاطفه بسبحته بكل عطف وشفقة فتذكرت قطة الدكتور شميل البيضاء وعبثها بدرويشيات ذلك الفيلسوف الكبير وقد قرأ لنا في تلك الجلسة من صحفه المطوية مختارات اهتزت لها الجوانح ورقصت القلوب . وللاستاذ الزهاوي في تلاوته شعره تمثيل خاص يحببه إلى سامعيه . . .

قصيدته : تنم عن تألم نفسي وشجو باطني ، مفتتحة بفلسفة حياة الجنس اللطيف عند ماتحليها رقة وغزل مع أن الشعراء في هذا العمر يميلون عادة إلى نظم الحكم والنصائح وما أجمل تنصله من ذلك بقوله في آخر القصيدة يصف شعره :

وقد أعود به أبان انظمه اذا تذكرت أيامي الى الغزل

هذا ما رأيت كتابته من ترجمة الاستاذ الفيلسوف الشاعر جميل صدقي الزهاوي وقد اسهبت في ذلك واوجزت في تعريف بقية الاستاتذة والأدباء بغية نشر شيء عن هذا الشاعر الكبير في (سحر الشعر)

بغداد ١٠ اذار — ١٩٢٢ رفائيل بطي

الشعر

الشعر ديوان العرب أودعوه وقائعهم وهو عنوان رقيهم ما تقدموا فى اسلامهم الا بعد أن تقدم الشعر فى جاهليتهم بل لا تقدم لامة الا والشعر مولده فهو الناهض بها والمقيل لعثراتها والباعث لها على تنكبها عن طريق الحياة القديم الذى يراه غير مستو والمشى على مايسنه لها من جديد . ان غضب الشعر فان السيف يغضب وان رضى فهو يرضى . فكر يهيج الافكار وقوة لا تغالب . كم مرة زحف بالجيوش الى لقاء المنايا فخاضها غير هياب حتى ترك الموت أحمر وأجهز على العروش فثلها وعلى المعاقل فهدها وكم وضيع رفعه ورفيع وضعه وهو فى كل أمة على قدر احساسها وعلمها ولذلك كان الميزان لرقيها والمقياس لاخلاقها وهو حاجة فى النفوس فهى ان لم تقله تسمعه من أفواه قائليه أو رواته .

الشعر شعور الشاعر قد خرج من مخدعه وهو قلبه متحداً اتحاداً أثيريا بشعور آخر هو النغمة التى نسميها وزناً وقد ركبا أجنحة الالفاظ الخفيفة ليطيرا معاً مرفرفين رفرفة الفراش الجميل على زهر الرياض فيصلا الى الاسماع بعد أن يحدثا فى طريقهما

أمواجا خفيفة فى الهواء ومنها الى مخادع آخرهن قلوب أصحابه تلك الاسماع ويثيرا ماهنالك من الاحساسات الراقدة

الشعر ولدته فى البشر الاحزان فهو ابن الحزن يذكرك منظره بدموع الايامى واليتامى والبائسين وصوته بانين المتألمين ونشيج الباكين . أما ثيابه فهى فى الغالب سود كأنها قلدت من أديم الليل المنمق بالنجوم اللامعة وقد يتردى شفق الغروب الارجوانى أو دم الشهداء الأحمر أو يتشح بزرقة الفجر ويتنسم أنفاس الاسحار الباردة وبزفيرها حارة تكاد تحرق الارواح التى تمسها .

وهو تذكار الماضى ولفتة الروح الى تلك الصور التى مرت أمامه جميلة أو عدوها وراء الاظعان الآخذة فى الابتعاد عنه يريد ليصل اليها فيودع أحبته الراحلين بل هو وداعه الأخير لهم وعبرته العاثرة باذيال الخيبة .

أفكر فى الماضى فيأتى خياله جميلا امام العين ثم يزول

وهو آلام الشاعر يشكوها إلى الطبيعة وابنائها وعبراته الصائتة وشجوبه الناطق ونظره الشاكى وهو الذى يمثل لنا الشقاء فى الانسان على صنوفه ويصور ليل من ساورته الهموم وقد امتلأ ارنانا ومساء الغريب الذاكر أهله وقد غص بنشيجه وهو دموعه

حين تغرب الشمس عن عينه فتبقى وراءها (شفقاً بحاشية السماء طويلا) وصباح الراحل عن حي من أحبه فؤاده وقد حظر عليه الرجوع اليه فشرق ببكائه ولفتات جيده إلى الدار الذى أخذ يمشى مبتعداً عنها بخطوات بطيئة لا تكاد تسمع لنعالها خفقاً وقد نسى نفسه لافتكاره فى إخفاق زورته التى هى آخر زوراته بعد أن نعم حيناً فى ظلالها

رجعت من حي ليلى فى الصبح أندب ذلى
كالظل من غير روح والروح من غير ظل

وهو رثاء الاب وحيده على قبره الذى دفنه فيه ودفن معه أمانيه وأفراحه

أيها القبر هل علمت بأنى قبل موتى دفنت فيك حياتى
عبراتى عليك تهمى ولكن أنت لا تستفيد من عبراتى

* * *

وأغنية الأم لطفلها تريد لينام فى حضنها هادئاً
وزار النعاس الطفل فى حضن أمه
فكان يغض الطرف طوراً ويرفع

تغنى له أغنية النوم أمـه

فيصغى اليهـا هادئاً ثم يهجع

وصوت الروح الحزينة ترسله الى الارواح داعية إياها إلى الاشتراك فى أحزانها وغناء توارثته من أرواح الاباء فى أجيال بعد أجيال وعصور بعد عصور

يتألم الشاعر فيحول شعوره بآلامه إلى ألفاظ موسيقية يحتج بها على الطبيعة إلى ابنائها وعلى الارض الى السماء هى الشعر وهو تيار كهربائى يتولد من أوجاع الشاعر المفجوع فيخترق الهواء ويصل بطريق الاسماع إلى أرواح السامعين فيهزها هزات تماثلها كما تحدث الامواج أمواجاً فتقام هناك مناحة بين الارواح

يا شعر انك أنت صوت ضميرى

بيديك حزنى تارة وسرورى

ياشعر أنت ممثل قلبى الذى

هو فى الحياة محركي ومديرى

أنا أنت ياشعرى وأنت أنا فمن

يقرأك يقرأ سيرتى وشعورى

ما أنت إلا صيحة أرسلتها
في الليل عند تكاثف الديجور
قد كنت حيناً في خفائك خافياً
حتى ظهرت فكان فيك ظهوري
ياشعر أنت اذا وصفتك موجزاً
شكوى الكظيم ونفثة المصدور
مالي أراك على الاجادة في الذى
توحيه منسياً من الجمهور
هل أنت في بلد أضاعك أهله
أم أنت بالاقبال غير جدير
أحمامة غنت بجانب دجلة
لم يبق مستمع اليك فطيري
يا شعر انى سوف أدثر في الثرى
ميتاً وأنت تعيش بعد دثوري
ولسوف تقرأك العيون مجلة
وتلذك الاسماع بعد عصور

* * *

يجد الغراب على صموت عاذرا
أما الهـذار فليس بالمعذور
فى الصبح زار العندليب شقيقه
أفديكما من زائر ومزور
يا عندليب الروض الق من الربى
بعض القصيد كشاعر مشهور
غرد هنالك ثم غرد ههنا
من اجل ناس انصتوا وطيور

وهو ثوران الارواح التى تهيج كالبراكين المضغوط عليها فتنفجر وتقذف بالنار والحمم على رؤوس الضاغطين عليها وسلاح الانسانية المتبرمة تحارب به الانسانية الظالمة وهو موقظ للامم من رقدتها والنافخ فيها أرواحاً جديدة تطالب بحقوقها المهضومة وتدرأ عنها عادية الاستبداد والمثير فى الشعوب مالها من القوى الكامنة لمقاومة ذوى الاثرة وهو الذي يلم شعثها ويجمع شتاتها وينهض بها ويخلق فيها من الضعف قوة

لي فى بغداد ونهضتها حق قد ضاع وأنشده
سيشق الشعر عصا قوم ويقيم الشعب ويقعده

مامن قوم الا ولهم شعر يتغنون به كانه حاجة فى نفوس البشر ترجع اليها كلما حزنت أو طربت وهو وحده يستطيع ان يعرب عما هنالك من ثوران سواء كان حزناً أوسروراً .

وهو تابع لسنة الارتقاء فقد كان فى أوله على ماأظن الفاظاً متقطعة وتأوهات بسيطة هما اشبه بأنين المتألم ثم تركب مع الزمان وارتقى مع ترقى القوم وتنوع حتى بلغ درجته المناسبة لرقى الامم .

والخلاصة ان الشعر آلام وأفراح ثائرة فى دور الشاعر تتحول بماله من المقدرة الى الفاظ منقسمة اقساماً تناسب الالحان الموسيقية وتصل الى ارواح السامعين فتتحول فيها ثانية الى آلام وافراح كانها اندفاعات كهربائية تصدر من جروح دفينة فتنكأ جروحا مثلها دفينة . وهذا ينطبق على المنظوم منه وهو أكبر تأثيراً من الشعر المنثور لما فيه من النغمة ولقابليته للحن الموسيقي وأعلق بالاذهان لسهولة حفظه وأبقى فى تنازع البقاء لحرص الناس على انشاده والاستشهاد به وحفظ الوزن له من الضياع فاذا وصف به واصف مثلا أو رثى به راث لم تذهب بوصفه أو رثائه الرياح بل بقى خالداً ينشده الابناء بعد الآباء.

قال أحد أدباء الغرب الشعر مايظهر للاحوال الخارجية أو الداخلية شكلا بديعاً بسبب اللغة ، وما وجود النظم عند الاقوام المنحطة الا دليلا على أنه طبيعي في البشر والنظم يفهم ابطأ من النثر ولكن تأثيره فى المخ أشد لانه يؤثر بالمعنى والوزن معاً فهو يجمع تأثيرين والاوزان فى مبدأها تكون هجائية ثم ترتقى فتكون عروضية كما هو شأن الشعر العربي اليوم والظاهر ان الاوزان نشأت من التهيج فان الانسان اذا تهيج تهيجاً عصبياً اكتسب كلامه انتظاماً وهذا الانتظام هو شيء من الوزن وكلما كسب الفكر ثراء كان الكلام أكثر موسيقياً أو امتزج بالموسيقى ولا قيد اليوم فى النظم . انظم على ماتشاء من القوافى الا أنك مضطر الى محافظة الوزن والاخرج ما تقوله من كونه شعراً منظوما ، والشعر الجيد لايرجع الى طريقة أدبية . اماتأثير الشعر فى المجتمع فهو أكبر من تأثير المجتمع فى الشعر .

والشعر ارقى فنون الادب وأوسع دائرة لتمثيل الطبيعة والحياة من التصوير .

الشعر العصرى

قد اختلف الادباء فى تعريف الشعر العصري غير اني أرجح ماأشرت اليه سابقا من كونه شعور الشاعر المتولد من فعل المحيط كبير التأثير فى روحه فيبرزه فى صورة الفاظ موزونة تعرب عنه فلا يكون الاصادقاً لاتشينه مبالغة وسهلا ليس عليه من التكلف مايذهب بصفائه وروعته وهذا هو الشعر الحقيق في كل عصر واذا كان هناك اختلاف فهو متولد من اختلاف المؤثرات بحسب العصور . ولا التفات الى مايقوله العروضيون فى تعريفه من انه الكلام الموزون المقفى فان هؤلاء غير شعراء ولا ينتظر ممن لايكون شاعراً ان يعرفه .

وقد بلغ الشعر درجة من الرقي تناسب درجة بقية الفنون .

ولا احسب انه يقف فى منزلته بل لا بد من تقدمه اكثر مما هو فى اليوم بتقدم اهله فى العلوم والحضارة فيكون له ما للشعر الغربى وهذا لا يدعو إلى ان يشعر الشاعر العربى شعور الشاعر الغربى ويحس احساسه بل يتقدم العربى فى شعوره الخاص به تقدم الغربى فى شعوره فاذا تأثر من حادث تأثراً بالغاً ظهر

أثره في شعره والمجيد يجعل شعره الذي هو أثر تأثره على مقدار المؤثر فيه فلا يزيد ولا ينقص.

وشعره هـذا هو رسالة نفسه الى نفوس أبناء شعبه فلا مندوحة له من ارسالها باللغة التي يتفاهم بهـا الشعب الذى هو احده مع مراعاة منازع تلك اللغة وأسلوبهـا واختيار أفصح ألفاظها وأبلغ جملها ليولد شعره فى أذهان سامعيه شعوراً مثل شعوره وأما ما زاد على شعوره من الالفاظ أو نقص فانه ينقل معه الى السامعين تلك الزيادة وذلك النقصان فلا يسلم شعورهم منهما.

والمعاني الشعرية دقيقة في الغالب لا تشبه بقية المعانى فلا تقـدر أن تعبر عنها الا لغة أهلها التى قد تولدت لتعرب عن خفايا قلوبهم.

الشعر العربى والشعر الافرنجى

عبثاً يسعى بعضهم إلى جعل الشعر العربي على نمط الشعر الافرنجي بحجة ان الافرنج سباقون في كل علم وفن محاولا أن يقلدهم فان شعور الغربيين تراث آبائهم وأجدادهم من عصور أوغلت فى القدم وامتدت عروقها فى أعماق الماضى كما أن شعور

العرب اليوم هو ارث منتقل اليهم من آبائهم الاولين ولم يتولد هذا الشعور إلا من العادات المتأصلة فى الاقوام بتعاقب الدهور.

متى كانت عادات المتنبى [1] موافقة لعادات

(١) هو ابو الطيب احمد بن الحسين الجعفى الكندى الكوفى المتنبى الشاعر الحكيم خاتم ثلاثة الشعراء . ولد بالكوفة سنة ٣٠٣ فى محلة كندة . وهو من قبيلة جعفى بن سعد العشيرة احدى قبائل اليمانية وكان أبوه فيما يقال سقاء . وقد أقام مدة فى بادية بني كلب وهو فى ريعان الصبا ليستتم علمه باللغة والشعر أما سبب تسميته بالمتنبي فكان قد وشى به بعض الاعراب الى لؤلؤ أمير حمص من قبل الاخشيدية بأن أبا الطيب ادعى النبوة فى بني كلب وتبعه منهم كثيرون ويخشى على ملك الشام منه ، فخرج لؤلؤ الى بني كلب وحاربهم وقبض على المتنبى وزجه فى السجن مدة طويلة ثم استتابه واطلقه. تكسب بالشعر مدة انتهت بالحاقه بسيف الدولة بن حمدان فمدحه. ثم تركه وقصد الى كافور الاخشيدى أمير مصر طمعاً ان ينال عنده الامارة . ثم لما يئس من نوال ذلك تغفله وخرج منها يريد الكوفة ومنها قصد عضد الدولة بن بويه بفارس ماراً ببغداد فمدحه ومدح وزيره ابن العميد فاجزل صلته وعاد الى بغداد . وخرج الى الكوفة فخرج عليه اعراب بنى ضبة وفيهم فاتك بن أبي جهل ، وكان المتنبى قد هجاه هجاء مفذعاً فقاتلهم قتالا شديداً حتى قتل هو وابنه وغلامه سنة ٣٥٤ .

(شعره) : لا يختلف أهل الأدب قاطبة فى أنه لم ينبغ بعد المتنبى

شكسبير[1] حتى تكون ارواحهما متفقة وشعرهما متشابهاً وبحوره

فى الشعر من بلغ شاواه أو داناه . وهذا المعرى — شاعر البشر على مذهب الاستاذ الرصافى — على بعد غوره وفرط ذكائه وتوقد ذهنه وشدة تعمقه فى المعانى والافكار الفلسفية وابتكاراته يعترف بابى الطيب كشاعر مفلق ويقدمه على نفسه وعلى غيره .

(الموازنة بينه وبين البحترى وأبى تمام) : وقد أجمع رجال الأدب كذلك على أن البحترى من حيث رقة اللفظ وحسن التخيل يفضل أبا تمام والمتنبى وقد ذهبوا فى المفاضلة بين الاخيرين مذاهب من حيث الحكم والمعنى على ان بعضهم يرجح المتنبى على أبى تمام .

(وصف شعر المتنبى) : وقد قال المتنبى الشعر فى كل غرض من أغراضه ، وأجاد فى وصف المعارك والعتاب والمراثى ومع أنه مدح كمن سبقه غير انه هذب أسلوب المديح وادخله فى طور جديد . وقيل انه قلما ترك فى المدائح معنى لم يطرقه . وشعره اليوم مضرب الامثال تتناقله الألسن ولا تجد متأدباً حاضراً أو بادياً لا يذكر شيئاً من أمثاله فى حديثه

(١) William Shakspeare أكبر شاعر روائي انكليزي ولد فى ستراتفورد (Stratford (Warwicle سنة ١٥٦٤ وهو مؤلف عدد عديد من الروايات التمثيلية والفجيعة يعدها الناس بدائع منها روميو وجوليت وهملت . ريكاردس الثالث ، الملك لاود ، أوتللو ، مكبيث تاجر البندقية ، حلم فى ليلة صيف . لقد تمكن شكسبير من تمثيل العواطف والشواعر بصورة مؤثرة تمثيلا حقيقياً وبحذق عجيب توفى سنة ١٦١٦

فيهما متماثلة اللجج. قد لعمرى فات هؤلاء المتشبهين ان الشعر فى كل أمة هو احساسها فلا يقاس على العلوم والصنائع المادية ولكل أمة ذوق فيه ترجع معرفته الى علم النفس وقد انتقل فيها هذا الذوق تراثاً من آبائها فلا يمكن ان ينتقل من قوم الى آخر بعيد عنهم فى العادات والمشارب .

وليس من يسعى الى تحويل الشعر العربى الى شعر افرنجى الا كمن يحاول جاهداً ان يجعل العندليب ديكا أو العقاب حدأة أو الاقحوان بنفسجاً وهل يطرب العندليب العنادل اذا صاح صياح الديكة أو يستفز الديك الديكة اذ غرد تغريد العنادل

زينوا الباطل حتى ظنه الناظر حقا
ان شعباً جهل البا طل والحق ليشقى

ولا أريد بما أقول أن نبقى نحن العرب جامدين على الطراز الاول الذى استحسنه اجدادنا فى الشعر كلا ثم كلا فانا اكثر الناس ميلا الى التجدد والتقدم بالشعر تقدماً يناسب ارتقاءنا فى العلوم والحضارة ولكنى مشترط أن يكون مشينا فى الطريق الامثل الذى نحن سائرون عليه كما سار اجدادنا غير جانحين عنه الى طريق جديد لم تألف المشى عليه اقدامنا الحافية الا بعد تمهيد الارض وازالة

عراقيلها ولا التذ الا بالموسيقى التى الفها سمعى وملكتها تراثاً من آبائى .

والشعر قد تشعبت فروعه كما تشعبت الشعوب ومن الضرورة ان ينمو كل فرع فى وجهته ومن الخطر على الفرع ان يقسره القاسر بعد ان اشتد وقوى على الالتواء والامتداد فى عين الجهة التى امتد فيها الفرع الآخر دون ان ينكسر وان كان الجذم للفرعين واحداً .

وهل يتصور الذين يرون وجوب ان يضاهى الشعر العربى الشعر الافرنجى فى منزعه وتطوره ان الطبع آلة بخارية ينسج بها حتى يستحسنوا ان يقنو العربى ماكان من النوع الذى ينسج به الافرنجى غزله لا أيها المتشبهون لا ، فان الشعر ليس بنسيج الآلات بل هو نسيج الارواح والارواح تختلف فى الشعوب . غير واكل شىء فى الشعر الا الشعور العربى والا الالفاظ المعبرة عنه وأسلوب تركيبها . الله الله أيها الشعراء فى الشعور العربى لا تقتلوه فانكم ان قتلتموه قتلتم العرب .

والغالب ان القائلين بهذا التحويل هم نفر مارسوا الآداب الغربية فى بلادها فالفوها وضعفت فيهم النزعة العربية فاخذوا

يشعرون شعور الافرنج وارادوا ان يعبروا عنه بالعربية شعراً فما سمحت لهم بذلك لانها متولدة للتعبير عن شعور خاص هو شعور العرب وقد خلقت كل لغة للتعبير عن شعور اهلها فلا تستطيع أن تعبر تعبيراً صادقاً عن شعور غير اهلها الا اذا كان ذلك الشعور مشتركا بين الامتين ولكن ما الحيلة اذا كان الشعر ليس له من ابناء العرب من يغار عليه ويشد ازره ويرد عنه ايدى العابثين به .

قد كنت ارجو فى الرؤوس جراءة
فاذا الرؤوس تلوذ بالاذناب
وجدوا طريقاً للتقدم صالحاً
فمشوا به لكن الى الاعقاب

وحرمان العربية اليوم من انصار يذبون عنها لايبخس قدرها ولايغير الحقيقة أو يشينها .

ما ان يحط من الحقيقة قدرها
ان الحقيقة ما لها انصار

ولايفهم من قولنا السابق اننا نزعم ان للمعنى موطناً خاصاً به ونعنى ان لاينظم العربى معنى قد نظمه الغربى كلا لا اريد هذا

فليس للمعنى موطن خاص به بل اقصد الاحساس والاسلوب فان لكل قوم احساساً خاصاً به واسلوباً الاما كان مشتركا بين الاقوام جمعاء للوحدة فى الاصل وان لكل حجر من أحجار الوطن وكل أثر من آثاره دخلا فى توليد هذا الاحساس فلا يمكن ان نجده فى خارج بلاد العرب . ولما كان هؤلاء المتشبهون قد الفوا الشعر الغربى أكثر من الشعر العربى فلا تسمع لهم فى الاكثر الا شعراً بارداً غثاً وتكاد لا تصادف بيتاً مبرزاً يجوز أن تستشهد به فى كتاباتك أو خطبك لحسن ادائه وكبر معناه كما تسمع لبشار [1]

(١) هو ابو معاذ بشار المرعث بن برد اشعر مخضرمى الدولتين ورأس الشعراء والمحدثين وممهد طريق الاختراع والبديع المتفننين واحد البلغاء المكفوفين . وهو فارسى الاصل من طخارستان اخذ أبوه برد فى سبى وقع في يدى المهلب بن أبى صفرة فكان مدفىء القشيرية امرأة المهلب . فاقامته فى ضيعة لها بالبصرة مع عبيدها ثم زوجته وأهدته الى امرأة عقيلية كانت صديقة لها فولد له بشار . وأعتقته العقيلية فصار مولى ونشأ فى البصرة ثم قدم بغداد . ولد بشار اعمى جاحظ الحدقتين يغشاها لحم أحمر وكان ضخماً طويلا عظيم الخلق والوجه مجدراً . متوقد الذكاء . شديد المجون والاستخفاف بالناس كثير الاستهتار بالدين متهماً بالزندقة شعوبياً متعصباً للعرب قال الشعر وهو

والمتنبي وأبي تمام [1] ومن كان من طبقتهم بالرغم عما هنالك من الالفاظ المزوقة التي يأتون بها طلاء لوجه شعرهم ،

لم يبلغ عشر سنين وقد أجمع رواة الشعر و نقدته على أن بشاراً رأس المحدثين واسبقهم الى معاطاة البديع وطرق أبواب المجون والخلاعة والغزل الرقيق الحضري والهجاء المفزع وانه أول من جمع في شعره بين جزالة العرب ورقة المحدثين وفتق عن المعاني الدقيقة والاخيلة اللطيفة حتى عد شعره برزخاً بين الشعر القديم والحديث . وقد أمر الخليفة المهدي بقتله وبعث اليه صاحب الزنادقة فضربه حتى مات لانه هجا الخليفة ووزيره يضاف الى ذلك شهرته بالزندقة توفي سنة ١٦٧ هـ

(١) هو أبو تمام حبيب بن أوس الطائي أسبق ثلاثة الشعراء الذين طارت شهرتهم في الافاق (ابو تمام والبحتري والمتنبي) والمعروف من من نسبه أنه عربي طائي ولد سنة ١٩٠ بقرية جاسم من أعمال دمشق وكان أبواه فقيرين . نقل صغيراً الى مصر فنشأ فيها معوزاً وكان يسقي الماء بالجرة في جامع عمرو ثم مال الى الشعر وبرز فيه وصار يمدح المعتصم ووزيره والحسن بن وهب، وقد ولاه هذا الاخير بريد الموصل فأقام بها الى ان مات سنة ٢٣١ هـ وقبره بالموصل . ويتشبث اليوم أدباء الموصل في اقامة عمود تذكاري على قبره الذي درس لما عبدت الطريق . وكان اسمر طويلا فصيحاً حلو الكلام آية في حدة الخاطر ولطافة الحس . ويعد في شعره رأس الطبقة الثالثة من المحدثين انتهت اليه معاني

نعم ان الشعر بعد القرن الخامس من الهجرة فما يليه انحط عما كان فكانت فتاة العرب هذه (ولا لوم على اذا شبهت الشعر بالفتاة) قد سلت بعد أبي العلاء المعرى [1] والرضى واضرابهما

المتقدمين والمتأخرين وقد آثر فى طريقته تجريد المعنى على تسهيل العبارة وأجاد فى كل فن من فنون الشعر وبرز على الاكثر فى المراثي

(١) هو أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المعرى التنوخى الشاعر الفيلسوف الزاهد. عربي من قبيلة تنوخ من بطون قضاعة وبيته بيت علم وقضاء ولد بمعرة النعمان سنة ٣٩٨ وجدر فى الثالثة من عمره فكف بصره وقال الشعر وعمره احدى عشرة سنة ودخل بغداد . ولما رجع الى المعرة أقام فيها متزهداً وسمى نفسه رهن المحبسين (محبس العمى ومحبس المنزل) وبقى فى داره يدرس ويؤلف ويعلم ويراسل مجتنباً أكل الحيوان وما يخرج منه مدة ٤٥ سنة عزباً الى ان مات سنة ٤٤٩ بالمعرة وأوصى أن يكتب على قبره:

هـذا جناه أبي علي وما جنيت على أحد

وكان أبو العلاء أحكم الشعراء بعد المتنبى وفاق هذا فى الغريب والخيال الدقيق والتكلم فى طبائع الناس ووسائل الاجتماع وعادات الناس وأخلاقهم ومكرهم وظلمهم ونظام الحكومات والقوانين والشرائع والأديان، وهو من هذه الوجهة يمتاز عن المتنبى لذلك يفضله الشرقيون والغربيون ويسميه الشاعر الرصافى الكبير بشاعر البشر . وأبدع شعره واكثره فى النقد والفلسفة.

وعرف الاطباء الذين زاروها فى مرضها ان عمرها لا يطول فهي بعد قليل تودع الحياة والشمس والقمر والنجوم والرياض وازهارها :

يالها مسلولة يحزنني منها الصموت
هل أحست انها من بعد أيام تموت

وما طال بها المرض حتى مزق مكروب السل احشاءها فماتت ومات خاطبوها وحماتها

قد أصابت يد المنية رأساً
عقد المجد فوقه اكليلا
لطمت وجهها عليه القوافى
واطالت بيض المعانى العويلا
فى هدوء الثرى ينام رجال اغمدتهم يد المنايا نصولا

بل مامات الشعر إلا بعد ان ماتت العربية قبله بعصور وهى امه التى كانت تغذوه بلبانها فأخذ ابناؤها يتكلمون بلغة ولدوها عامية لا تصلح لان يترعرع فى احضانها الشعر الفصيح وبقيت أمه منبوذة فى العراء تمزقها أنياب الضوارى وتعفو عظامها البالية الاعاصير :

يالثدى قد جف من بعد ما قد
رضعته الاجداد جيلا فجيلا
يالأم من بعد ما حضنتهم
ترك الدهر شلوها مأكولا

وكان الهزار مولعاً بالزهر يطير اليه ويقع على غصن يحاذيه ويغرد مشبباً به فلما صوح الزهر ومات الذين كانوا يرعون روضه سكت واخذ يطير معلوفا فى الافاق ينشده فى منابته :

فياليتنى قد كنت اعرف جيداً
باى مكان ينبت بعدهم الزهر
ومضطرب يشكو الحريق كأنما
باثوابه مما يلى جلده جمر
لقد كان من لمياء لى الحسن وحده
ومنى للمياء الصبابة والشعر

مضت عصور وللشعر فيها الكلمة العليا ثم جاءت عصور طاشت فيها سهام الشعر وشاهت وجوه رماته . انصرم العهد الذى كان الشعر فيه يخب ويوضع حتى اذا نكث الدهر ما وعد به قصرت فى الرهان خيله الراكضة . وكان أهل الجاهلية قد

تقدموا به فى غلس الليل لا يتخذون الا بياض الفرقدين دليلا ثم تقدمت به الدولتان الأموية والعباسية . الأولى تقدمت به فى الصباح والثانية فى رائعة النهار ثم قلب لهم الدهر ظهر المجن وأبادهم حدثانه ومات بموت أهله الشعر والشعر كالأمم دول تحيا وتموت .

حياة الشعر العصرى

ظل الشعر راقدا فى قبره أحقابا وقرونا حتى نفخ فيه نفر من أبنائه النبغاء روحاً جديدة فبعثوه من مرقده فقام وقد ستر محاسنه تراب القبر وانتفض منه فاذا هو جميل وأخذ يعود الى ما كان عليه من الجزالة ويتقرب من الحقيقة رويداً رويدا مع ملابسة لحوادث العصر ومسايرة لرقيه وسيرتقى الشعر العربى أكثر مما هو عليه اليوم طبقاً لارتقاء شعور العرب المناسب لحضارتهم وعلومهم كما ارتقى في زمن بنى العباس عما كان فى الجاهلية يومئذ يكون البون بينه وبين الشعر الافرنجى أبعد لطول الزمن الذى هو أكبر مغير للعادات بين أمة وأخرى . هذا اذا بقيت كل أمة متمسكة بعاداتها أما اذا غير العرب عاداتهم وأخذوا يتشبهون بالغربيين فى نزعتهم — وقد تضطرهم الى ذلك

المحكومية والسياسة — فحينئذ يكون مالا يجوز ان يكون ويستحيل الشعر العربى بل تستحيل الأمة العربية لاسمح الله .

المتشبهون

أرى فئة من المتشبهين بالافرنج ينكرون الحق بعد ان لمسوه بأيديهم . وكان الواجب ان ينزل هؤلاء عن منصات الانشاد أو يفسحوا لغيرهم في الانشاد ممن هم أولى منهم وأجدر ولا أخشى على الشعر منهم فانه في ذمة أقلام الغائرين على العربية يذبون عن حرمها ويجهزون على أعدائها بمرهفات تلك الأقلام ويضربونهم ذات اليمين وذات الشمال .

بايد لاذان العتو صوالم وأخرى لانانف الغرور جوادع

أما شعراء الصنائع البديعية فقد خفتت أصواتهم ودب فى قوتهم الوهن فما من حراك لهم ولا رواج لبضاعتهم . وأما هؤلاء فاسمعهم من حين الى آخر يرفعون عقيرتهم منادين بالاصلاح وأين هم من الاصلاح ، هنالك جلبة تملأ الصحصحان وتزعج فى الليل الراقدين في ضوء القمر وقد طال فى النهار ركضهم وراء السراب يحسبونه ماء واذا بهم قد ازدادوا لهثاً على لهث وظمأ على

ظمأ ، ولا يطول بمن لم يصب كبد الحقيقة الزمن حتى يرجعوا عن طريقتهم التى تؤدى بهم الى تيهاء الشكوك الغامضة فان الأرض التى يمشون عليها رخوة تسوخ فيها الاقدام وقد تبتلعهم

وقد تطول بين هؤلاء المتشبهين وبين أنصار الحقيقة الحرب ولكن حزب الحقيقة هم الغالبون وسيرجع المبطلون عن حوماتها خاسئين مدحورين وقد عرقت جباههم من التعب ودميت ظهورهم من كثرة الجراح .

ولقد تزول الحرب عن أرض بها شبت

وتبقى فوقها الأشلاء

جرت الدموع على دماء قد جرت

وجرت على تلك الدموع دماء

ويل للشعر ثم ويل للشعر من هؤلاء الضالين فى دياجير الشكوك يلتمسون طريق الهدى ولا يهتدون اليه انهم يجهدون لتقويض صرح الشعر الذى هو تمثال الوطن المتكلم ويلهم مما يجهدون ثم ويلهم مما يجهدون .

ليت الزمان الذى ولى يدور بنا

حتى نعود الى أيامنا الأول

ان زال ما فى قلوب القوم من حسك

يوما تبدلت العضات بالقبل

وهذا الذى يأتون به من الشعر المتفرنج لا يعيش فى أرض لا تلائم نبته وستجده بعد قليل قد يبس باشعة الشمس التى تطلع فى سمائها حارة فيحور حطاما فرماداً ويبقى الشعر العربى وحده عليها حياً . أشجاره باسقة ، وأوراقه نضرة ، وأفياءه وارفة تملأ العين حسناً والقلب اعجابا ولعل ذلك غير بعيد .

لا توقظنى ان هجعت من الكرى

حتى يغرد فى الصباح هزار

أما أنا فلا يهدأ خاطرى حتى أرى ان قد رجع أبناء الطبيعة الى شعر الطبيعة . وأخذت العنادل تصدح فى رياض الأدب والبلابل تصيح بين الأغصان العالية والهزار يغرد طائراً من غصن الى غصن مصفقاً بجناحيه والقنابر تعلو من الحقول وهى تصفر صفيرها الشجى ثم تهبط اليها مختفية بين نباتها

اقبرة الحقل اغنمى الوقت واصفرى

فما بعد أيام تمر حقول

كان قد تراكم فى سماء الادب سحاب جون من الجهل

والتقليد وطال الأمد حتى خيل للناظر اليها انها مظلمة بالطبع فلما زال ذلك السحاب فاذا السماء ذات نجوم لامعة ، ولا أكبر من ان أرى المتشبهين يسفكون دم الشعر فاذا اضطرب المذبوح وأصاب بعض الدم المنبثق طرفا من أذيال رداء الذباح أخذ يتذمر ويوسعه ذما وتأنيباً .

عجبت من حرد الجانى لرؤيته
أذياله خضلات بالدم السرب
ما لوث الدم عمداً ذيل سافكه
حتى يقال جرى، غير ذى أدب

وكأنى بفتيات الشعر وهن عرب أبكار قد برزن من خدورهن سافرات مسبلات الشعور وأخذن يتهامسن فيما بينهن وينظرن من آونة الى أخرى بعيون نجل سود المحاجر الى أولئك الشبان كأنهن عاتبات عليهم فى ميلهم عنهن الى الغوانى الاعجميات لطلاء خلاب على وجوههن واصباغ مستعارة فى شعورهن وابتسامات كاذبة على شفاههن .

ماذا تريد بانظار تحولها عمداً الينا اولات الأعين النجل
وبينهن ليلى وقد لبست السواد كأنها فى مأتم وبدا على

وجهها الجميل شحوب . وترقرقت فى عينيها النجلاوين الدموع
وبرزت واتلع جيدها ترمى هؤلاء الجفاة بنظرات تكاد تنطق
وتشير اليهم بأصبعها قائلة :

ان الأكف التى قد كنت آملها
للذود صارت مع الأيام ترمينى
أضحت رماح بنى عمى وقد خشنوا
تنوش جسمى وكانت شرعا دونى
ظللت والحق مهجورين فى نكد
أبيت فى الدار أبكيه ويبكينى
للجهل حق رعاة الجهل تضمنه
له وللعلم حق غير مضمون
بالله يا أرض ميلادى ابامى جسدى
ويا سماء بلادى لا تظليني
أرجو من الشمس ان تزوى أشعتها
عنى فانى أراها اليوم تؤذينى
ومن نسيم الصبا أن لا يصافحنى
ومن أريج الحمى أن لا يحيينى

قم من ضريحك يامأمون واشك الى
أبيك حامى رياض الشعر هارون
وقل عنادل بغداد قد اكتأبت
على المعالى فمانت فى البساتين
الا شقيين هذا طار مرتحلا
وذا أقام طريداً للشواهين
له ببغداد عش لا يفارقه
بناه في دوحها بين الأفانين
وقد يغرد في الوادى على وجل
مرفرفاً فوق أوراق الرياحين
ولا يحوم اذا ما طار منتجعاً
الا على نرجس غض ونسرين

قد تفرنجوا فى مأكلهم ومشربهم ومجلسهم وانهم فوق ذلك يريدون ليتفرنجوا في شعرهم الذى هو صدى نفوسهم . يالقبور الاباء لوسمعت ورأت كيف ان أبناءهم يفتخرون بابتعادهم عن السجايا الغر العربية .

ان هدم العربى حوض جدوده
سخطت عليه يعرب ونزار
لايرفع الوطن العزيز سوى امرىء
حر على الوطن العزيز يغار

ولم يقحل الشعر في كل مكان من بلاد العرب فان فى مصر شجرات منه نبتت على ضفاف النيل قد بسقت واخضرت أوراقها .

أنبت الغيث فى المهابط منها
شجرات مع الرياح تميل
الضحى يهديها شعاعا حميما
فيرد الشعاع منها الاصيل

غير انى أخاف ان تغلب عليها أهواء المؤازرين للشعر الافرنجى فتيبس وتصفر أوراقها وتسقط على الارض فتذروها الرياح .

أنا اليوم أمرى في يدى غير أننى
أحاذر من ان يخرج الامر من يدى

أما الذين أخذوا يزفون الشعر الى الاسماع عربياً فى زى عصرى أو انهم حذوا حذو الافرنج فى الابتكارات أوالاحسان

فى الوصف والابتعاد عن المبالغات وأفرغوا معانيهم فى قالب عربي بحت وحوروا الشعور الافرنجى حتى جعلوه موافقاً للشعور العربى وحافظوا على الاسلوب العربى بتمامه كنفر متفرقين فى أميركا ومصر فهؤلاء يكسبون الشعر العربى رونقاً فوق رونقه وثراء فوق ثرائه وهم واثقون من كون عروسهم حسناء تجلاء العينين أسيلة الخدين وانها ستنال حظوة عند خاطبها العربى

جلوها عروساً مابها من غميزة
سوى صفرة فوق الاسيلين تفقع
عيون كما شاء المصور فتنة
وجيد كما أطرى أخو الشعر اتلع

وتحدثنى نفسى ان ماأمله للشعر العربى سيتم غير انى اخاف عليه من طيش الشبان الذين تعلموا فى الغرب ولم ترسخ قدمهم بعد فى العربية وان يزعموا أن الشعر مثل العلوم يجب أن يؤخذ من الغرب فهنالك الموت والبوار

ليس شئ يضر بالناس كالطيش إذا دام دافعاً فى الحياة

رب أخلاق أحرزت فى عصور
فاضيعت بالطيش فى سنوات

انما أمنيتى أن يتبصر الذين تهذبوا فى الغرب فلا يضيعوا أنفسهم باضاعة عربيتهم بل ليتعلموا ويبقوا عرباً وعسى ان تتحقق أمالى التي أحلم بها .

غرد بشعر منك فى روض المنى
روض المنى يا عندليب أنيق
أحمامة مدحت باجرد قاحل
هلا صدحت عليه وهو وريق
يا روض زهرك قد تغير لونه
لا أنت أنت ولا الشقيق شقيق

تقصير الشعر العربي

نعم ان الشعر العربى مقصر فى بعض أبوابه كالقسم الروائى ولكن ذلك لان دواعى الاجادة فيه لم تكن في عهده الأول متهيأة وأما اليوم فقد جرب عدد من الشعراء العصريين قرض الشعر فيه وبرزوا فى الاخذ به كما برزوا فى سائر أقسامه .

ما ان تعاتبنى على تقصيرى الا وتجرح خاطرى وضميرى
لى عند اصغاء الدجنة رنة مشفوعة بتنهدى وزفيري
ترقى الى حرم اشم طرافه يسع الفضاء وليس بالمنظور

قدملني وأنا الطريح من الضنى أهلى القريب وصاحبي وعشيري
متقلباً فوق الفراش تديرنى أيدى الهموم فيا هموم ادبرى

ان الشعر ليشكو الى أبنائه من قصوره هذا وازدراء الناقدين به والعتب في ذلك على حماة اللغة ثم على شعرائها الذين جمدوا على الطريقة التي سار عليها أبائهم فوقفوا مكانهم بل رجعوا القهقرى لا يتجاوزن من اتيان المبالغة اذا قالوا والحياد عن الحقيقة اذا وصفوا وبناء المعانى على المغالطات اذا احتجوا.

الكذب راقك أنه متجمل والصدق ساءك انه عريان
من ساء من مرض عضال طبعه يستقبح الايام وهى حسان

وكان عليهم أن يتفقوا على فك أغلاله وكسر قيوده التى أثقلت رجليه فصار يمشي مشى المقيد فى الوحل.

حملت ثقيلات الهموم على ضعفى
ولما اقل أوه هناك ولا أف
فلله درى كيف صبرى على الأذى
ولله درى كيف غضى على العسف
وما أنا ممن يغمضون على القذى
وما أنا ممن يصبرون على الخسف

وما كان ظني ان شعبي يهينني
الى ان رأت عيناي بالرغم عن أنفي
رأت أعيني من كنت أصفي مودتي
له يبتغي ضيمي ويسعى الى حتفي
فلما تبينت الذي لم أظنه
ضربت كمن يستاء كفاً على كف
فلهفي على ظني بقومي وحسنه
ولهفي على قومي وهل نافعي لهفي

على ان التوقف الذى يتشاءم منه الناس فى الشعر وقتى فاذا كثر المتهذبون وغلب المتعلمون فان الشعر اول مايمشى امام السائرين بل هو النجم الذى يهدى السارين

من ذا يسد على الصبا ان اسرعت طرق الرياض

والامل ان العرب ينهضون بحق ويكثرون المدارس فى بلادهم فيعيدون مجد آبائهم الآفل ويثبتون للملأ أنهم خير أمة أخرجت للناس

لقد وسعت أرض تقل جسومنا
وأوسع منها في جماجمنا الفكر

وهذا الأمل قد قوي فيّ حتى رسخت عروقه فى أعماق قلبي فلا تقلعه رياح الحوادث الهوج.

أملى أن يعود ذاك الماضى غامراً لى بسيبه الفيـاض
ويعود الربيع غضاً فامشى جانياً ما أشاء بين الرياض
وأرى الزهر فى الربى من جديد جالياً عينى بالوجوه الغضاض
وأرى الشعب فى طريق هداه ساحبا فضل ذيله الفضفاض
قد رأينا الصروح منهدمات فأخـذنا نبنى على الأنقاض
ما بياض يجىء بعـد سواد كسواد يجىء بعـد بياض
أيها الملك لا تخف من زوال أنت فى ذمة السيوف المواضى

ومن الناس من مبدؤه المحافظة على القديم لا يروق له الشعر الا اذا كان سائلا للربوع وباكياً على الطلول وذاكراً للاظعان فهو يعادى كل جديد لا لشىء غير كونه جديداً لم يألفه.

أرى الناس الا من توفر عقله من الناس أعداء لـكل جديد

ولـكن التيار قوي فلا يستطيع الواقف أمامه أن يقاومه وهو لا محالة جارفه الى حيث يجرى بقوة. والدلائل كلها تطمئنى فان أبناء الرافدين قد تيقظوا من رقدتهم وأخـذوا يسيرون على

صراط يهديهم الى ربوة الاستقلال فلا خوف عليهم من التقهقر أو الوقوف المؤدى اليه وما التقهقر الذى نشاهده فى الظاهر الا تحفز للوثوب الى الامام . وقد كاد أن ينشق الليل المدلهم عليهم عن فجر صادق يبشرنى بذلك طلوع كوكب الصباح الزاهر لافتاً بأشعته الوقادة العيون اليه .

يا نجمة الصبح من حا لق علينا اطـــلى
ويا نســـيم تحرك من أجل ليلى وأجلى
ويا هزار أعـــد لى ما كنت بالامس تملى
الىَّ يا نرجس انظر باعين منك نجـل
يا ياسمين تفتح يا اقحوان ابتسم لى

وان طائر الشعب ليطمح ببصره الى الاعالى يريد ليطير اليها فيرتقى فوق ما ارتقى فى مصر . يجهد أن لا يبقى أوطأ من بقية الفنون يهم أن يحلق فوق السحاب ثم يقع على قوس قزح فيلقى من هناك قصيدة عصماء يشجع بها العراقيين على التقدم الى الامام .

مافى التوقف من سلام فالى الامام الى الامام
ان التوقف ســبة تزرى بانسال الكرام

انا لـفى عصر به يودى التوقف بالأنام
انا لـفى عصر به يقصى القعود عن المرام
انا بعصر أهـله يتيقظون من المنام
عصر به الانسان طا ر محلقاً فـوق الغمام
ياشعب لا تنكص عن العقبات من دون اقتحام
فى النكص من حذر الردى ذام يشين واىٍ ذام

وأعود هنا باللائمة على المتشبهين بالافرنج فى كل شىء وأضيف قائلا ان للشعر فى كل أمة مميزات ومشخصات اذا نقل الى غير لغته فقدها . ألم تر أن الشعر العربى اذا ترجمته الى الافرنجية كيف يضيع ماله من الرونق والرواء . وان الشعر الافرنجى اذا نقلته الى العربية كيف يكون غثاً بارداً . أقول ولا أتحاشى وان قامت علىّ قيامة المتشبهين وأخذوا يوسعوننى ذماً وتجهيلا . ان الطرز المحدث فى الشعر اذا لم يحافظ فيه على الاسلوب العربى هو افساد له كما كان البديع فى عصره افساداً وقد كان البديعيون يقولون انا نحسن الشعر كما يقول هؤلاء اليوم انا نطلقه من قيوده على ان بين هؤلاء نفراً لم يفرطوا افراط المغالين فى التشبه بالافرنج .

الشعور العربى

قد يعترض المعترض على ما تقدم لنا من ان الشاعر العربى يجب أن يحافظ على شعوره الخاص بالعرب مستفهماً عما يفرق بين الشعورين العربى والغربى . فأقول ان الشعور العربى هو تلك الروح التى ينفخها الشاعر العربى فى جسد جميل من الألفاظ العربية فاذا ترجمها أحد الى لغة أجنبية لم يظهر لك الروح الجذابة أثر فى ألفاظ اللغة التى ترجمها اليها وهو دليل على ان روح الشعر لا يقبل التناسخ . ولكن ما هى هذه الروح . والجواب انها ذكرى ما أعجب به الشاعر من الطبيعتين المادية والاجتماعية أو تألم منه والذي يولد هذه الذكرى هو الحياة الوطنية . وهذه الحياة مستمدة من حياة الآباء والاجداد مما لا يتيسر ان يعبر عنه بلغة خلقت للتعبير عن روح غير هذه الروح .

نعم ان الدموع فى عين الافرنجى والعربى متشابهة فى الصورة . الا ان ما يبكى عليه الاول غير ما يبكى عليه الثانى وشتان بين ليلاهما . فالأولى بيضاء الوجه شقراء الشعر زرقاء العينين والثانية سمراء الوجه سوداء العينين دعجاهما وهذا الشعور يتغير بحسب الحوادث . ولكن حلقاتها تبقى متصلة الواحدة

بالأخرى فقد تأخر فى العصور الوسطى وأخذ يتقدم فى أيامنا وهو عربى فى كل عصر . وأما تقدمه فى هذا الزمان فسيطول عهده وسيكون الشعر هو القائد الأكبر لزحف الأفكار الى الافكار لهدم حصون التقليد المثبط الامم عن التقدم .

يعيش شعب اذا ما ضيم ينتفض
من الهوان والا فهو ينقرض
وليس من قوة فى الكون قاهرة
تستطيع ان تقعد الاقوام ان نهضوا
كم من شعوب تفانوا من جهالتهم
ان الجهالة موت أو هى المرض
ينال كل امرئ مجداً يحاوله
لولا المصاعب دون المجد والمضض
ليس الذى جاء يمشى اليوم متئداً
بسابق للألى من قبله ركضوا

نصحتهم أن يثوبوا من غوايتهم ... إلى الحقيقة إلا أنهم رفضوا
أما الحياة التى يحيا السواد بها ... فالناس منبسط منها ومنقبض
قد علمتنى اختباراتى التى كثرت ... ان الحقيقة شىء غير ما فرضوا

إنما أمنيتى هو أن يتقدم العراق خصوصاً ، والعرب عموماً والشرق أعم وأرى أن الوقت قد حان لهذا التقدم المجيد .

— إلى أهله الحق —

لقد جاء يوم فيه ينتبه الشرق ويرجع محموداً إلى أهله الحق
إن الشرق ألقى فى الحياة اعتماده على نفسه يوماً فقد أفلح الشرق
وأكبر أنصار البلاد رجالها
وأحسن أخلاق الرجال هو الصدق
وإن دعام الحذق خلق يقيمه
فان لم يكن خلق فلا ينفع الحذق
وفى بعض من عاشرت شىء تجله
فذلك لو فتشت عنه هو الخلق
جرى الشرق شوطاً فى الرهان وبعده
جرى الغرب حثحاثاً فكان له السبق
يقاسى القيود الشرق والغرب مطلق
فبين كلا القسمين هذا هو الفرق
إن الشرق بعد اليوم لم يرع نفسه
ألمت به الجلى وعاجله المحق

الا فليرقع ثوبه كل من له
يد قبلما فى الثوب يتسع الخرق
قد انطفأت تلك النهى منذ أعصر
وتومض أحياناً كما يومض البرق
أحس بأن الشرق ينبض عرقه
فلو لم يكن حياً لما نبض العرق
يريد ليحيا الشرق حراً كغيره
وأكبر أرزاء الشعوب هو الرق
متى أيها الصبح الجميل تبين لى
فيبيض فى ليل الهموم بك الأفق
أتعلم ليلى أن فى الحي مغرما
بها لفؤاد بات يحمله خفق
قسمت فؤادى بين ليلى وموطنى
فهذى لها شق وهذا له شق
إذا لم يكن سير السياسة راشداً
فما ان يفيد العنف فيها ولا الرفق

يحاول ناس خوض دجلة جهدهم
وتمنعهم منه الزوابع والعمق
إذا جئتنى ليلا فدعنى راقدا
وفى الصبح أيقظنى متى غنت الورق
هو الصبح أى والله قد سل سيفه
وإن أهاب الليل منه سينشق
وان الذى يسعى لتحرير أمة
يهون عليه النفى والسجن والشنق
متى ما اطمأن القلب بالنفع فى الحيا
فقد لا يروع الليل والرعد والبرق
إذا رمت عن دار المذلة رحلة
فسر قبل أن تنسد فى وجهك الطرق
سأرحل عن بغداد يوماً مخلفاً
بها الشعر إن الشعر منى مشتق

القافية

وانى لا أصر على التزام القافية بل أنا أول من نبذها ظهريا وقال بقطع هذه السلاسل والاغلال وتحرير الشعر من وقرها

فى مقالة نشرت لى قبل الدستور بسنوات ولا أجمد على الاوزان الستة عشر الدارجة عندنا ولكنى أقول بالمحافظة على الجزالة العربية والاسلوب والشعور العربيين لنبقى عربا وان لا نزخرف الشعر بما لا طائل تحته فنزعم انا قد جددناه وبعد ذلك سواء علينا أبقينا على ولائنا للقافية أم وأدناها . ولعل مصالحتنا مع خصومنا على هذا لا يكون كمصالحة الفرزدق مع الذئب فى قوله :

تعشى فان عاهدتنى لا تخوننى
نكن مثل من يا ذئب يصطحبان

على انى أرى الذوق العربى يستقبح اليوم تعطيل أرجل غانية الشعر من خلاخيل القافية مرة واحدة وقد ألفها منذ أكثر من ألف وخمس مائة سنة .

وعندى ان خير طريق للخلاص من عبئها هو ان يحافظ الشاعر فى قصيدته على البحر سواء كان من بحور الشعر القديمة أم الجديدة وأن ينتقل بعد كل بضعة أبيات الى روى جديد فان القصيدة لا تخلو من مطالب مختلفة مع مناسبة بعضها لبعض فيجعل لكل مطلب رويا وقد نظمت على هذا النسق عدة قصائد تجدها متفرقة فى دواوينى الاربعة .

وما تجانس القوافى على رأي البعض الا زيادة قد ولدها الرقص على الغناء فى أول عهد الشعر بدقات الرجل المتكررة خلاله آونة بعد اخرى وقد اعتاد الناس سماعها فجعلوا يستحسنونها ويبخسون من لا يراعيها من الشعراء .

فهى ليست من الشعر المنظوم فى شيء ولذلك كان السامع لبيت مفرد لا يرتاب فى كونه شعراً وان لم يسمع قرينه ولعلها بقية من جناس كان يلتزمه قوم فى القديم لم يصل تاريخ الادب اليهم فهى بمثابة العضو الاثرى فى الحيوان وقد تزول في المستقبل بتمامها

ومن العجب ان فئة من المتشبهين ينحون باللائمة على أهل القوافى وحجتهم انها قيود يتقيد بها الشاعر فلا يكون حراً فى نظم المعانى مع انهم يلتزمونها حتى فى الاشطر الاولى فهم يضيفون على القيود التى فى أرجل الشعر إغلالا فى أيديه .

العرب والشعر

العرب سباقون فى غايات الشعر فقد أجادوا فى فنونه وأكثروا من بحوره وطمت حتى اغترف منها الفرس والاتراك وهو الذى جعل فيهم الشجاعة والكرم غريزتين والمروءة والاباء سجيتين .

وكان الشعر قد بدأ فى الغرب بالخرافة فترقى الى الخيال المألوف فالحقيقة ، وأما عند العرب فالامر بالعكس فان الغالب على الشعر فى الجاهلية هو الحقيقة والبساطة ثم كثر فيه الخيال فالخرافة وشاعت أخيراً الصنائع وهى التى قضت عليه الى أن تعلم نفر من شعراء العصر أن ينحوا به الى الحقيقة كما كان فى الجاهلية والظن ان شعر الجاهلية الحقيقى مترق عن شعر خرافى لها سابق والمجيدون من الشعراء فى كل عصر قليل والشعر الجيد لهذا القليل أقل من القليل وقد وجدت ان المبرزين من شعراء العرب فى مجموع العصور على تفاوت بينهم فى المقدرة هم امرؤ القيس [1]

---

(١) هو امرؤ القيس بن حجر الكندى . تعلق بالشعر لما شب ونبغ فيه وهو أول من استوقف على الطلول وشبه النساء بالظباء والمها وأجاد الاستعارة والتشبيه وكان أبوه ملك بن أسد وقد حصلت له وقائع مع بنى اسد الذين قتلوا أباه ومات بجبل يقال له عسيب ودفن بانقرة سنة ٥٦٦ م . ويعتبر فى شعره رأس فحول الجاهلية والمقدم فى الطبقة الأولى

وزهير بن أبى سلمى [١] والنابغة الذبياني [٢] فى الجاهلية والحطيئة [٣]

---

(١) هو أبو كعب وبجير واسم ابى سلمى ربيعة بن رياح ينتهى نسبه لنزار وهو أحد الثلاثة المقدمين على سائر الشعراء (امرؤ القيس وزهير والنابغة الذبيانى) قال ابن الاعرابى : كان لزهير فى الشعر مالم يكن لغيره كان أبوه شاعراً وهو شاعر وخاله شاعر وابناه كعب وبجير شاعران واخته سلمى شاعرة واخته الخنساء شاعرة . وكان يعمل القصيدة ويعرضها فى سنة كاملة فتسمى حولية . توفى سنة ٦٣١ م .

(٢) هو زياد بن معاوية بن ضباب ينتهى نسبه الى ذبيان ثم لمضر ويكنى أبا أمامه وهو أحد الاشراف المقدمين على سائر الشعراء بل جعل بعضهم شعره غاية المدى الذى بلغه الشعر الجاهلى من الجمال وحسن الرونق . ويمتاز شعره برشاقة اللفظ ووضوح المعنى وحسن النظم وقلة التكلف حتى عند المرققين من الشعراء كجرير أنه أشعر شعراء الجاهلية

(٣) هو أبو مليكة جرول الحطيئة العبسى الشاعر المشهور أحد كبار الهجائين والمداحين المجيدين . وقد هجا أمه وأباه وذوى قرابته وقومه بل هجا نفسه . ولولا ماوصم به الحطيئة من الخسة والدناءة لكان فى اجادته شاعر المخضرمين على الاطلاق فلا يعرف شعره ركاكة اللفظ او غضاضة المعنى أواضطراب قافية

والفرزدق [١] وجرير [٢] والاخطل [٣] ومجنون ليلى [٤] وجميل

---

(١) هو همام بن غالب بن صعصعة التميمى وكان أبوه من سراة قومه . اختلف الناس فى المفاضلة بينه وبين جرير والاكثرون على ان جرير أشعر منه . توفى سنة ١١٠ هـ .

(٢) هو ابن عطية بن الخطفى وهو لقبه واسمه حذيفة بن بدر بن عوف ابن كليب ينتهى نسبه لنزار ويكنى أبا حزرة وهو والفرزدق والاخطل المقدمون على شعراء الاسلام كانت له يد فى جميع فنون الشعر توفى سنة ١١٠ هـ .

(٣) هو أبو ملك غياث بن غوث بن الصلت بن تغلب : وكان نصرانياً من أهل الجزيرة ومات على دينه مع مخالطته لملوك المسلمين وأمرائهم وحظوته لديهم . قال جرير وقد سأله ابنه عن الاخطل : ادركته وله ناب واحد فلو ادركت له نابين لأكلنى . وقد كانت منزلته عند عبد الملك ابن مروان رفيعة توفى سنة ٧١٢ م .

(٤) هو قيس بن الملوح ويقال ابن معاذ بن مزاحم من عامر بن صعصعة ويعرف بمجنون ليلى نسبة الى ليلى التى كان يتعشقها ويقول بعضهم أن قصته خيالية . له ديوان شائع بين المتأدبين

ابن معمر [١] وكثير عزة [٢] وحسين بن مطير فى صدر الاسلام والخلافة الاموية وبشار بن برد وهو من المجددين وابو نواس [٣] وأبو العتاهية [٤] والعباس بن الأحنف [٥] وأبو تمام

(١) هو جميل بن عبد الله بن معمر بن عذرة وكان شاعراً فصيحاً مقدماً جامعاً للشعر والرواية اشتهر بحبه بثينة ابنة عمه ولذلك عرف بجميل بثينة واكثر شعره فيها توفى سنة ٨٢ هـ .

(٢) هو كثير بن عبدالرحمن من خزاعة ويعرف بكثير عزة نسبة الى عشيقته التى كان يشبب بها وقد كانت من اجمل النساء وآدبهن واعقلهن وأكثر اشعاره فيها توفى سنة ١٠٥ هـ .

(٣) هو أبو على الحسن بن هانيء الشاعر المشهور كان جده مولى الجراح بن عبد الله الحكمى والي خراسان قيل أنه ولد بالبصرة ونشأ بها ثم خرج الى الكوفة وكان من أجود الناس بديهة وارقهم حاشية حتى قال الجاحظ : لاأعرف بعد بشار مولداً اشعر من أبى نؤاس . ولد سنة ١٤٥ وتوفى سنة ١٩٨ هـ ببغداد .

(٤) هو أبو اسحق اسماعيل بن القاسم المعروف بابى العتاهية ولد سنة ١٣٠ هـ ببلدة تسمى عين التمر بالحجاز ونشأ بالكوفة وسكن بغداد وله فى الزهد اشعار كثيرة توفى سنة ٢١١ هـ ببغداد .

(٥) هو عربى شريف النسب لم يتكسب بشعره وانما كان ينظم ما يجيش بخاطره واكثره فى الغزل . ولديباجة شعره رونق ولمعانيه عذوبة ولطف توفى سنة ١٩٢ هـ .

والبحترى[١] والمتنبي وهو مثل بشار مجدد وابن هانىء الأندلسى[٢] وأبو العلاء المعري والشريف الرضى[٣] فى الحكومة العباسية وملوك الطوائف .

وانما يعجبنى من بين هؤلاء أكثر من غيره امرؤ القيس لروايته وحسن تصويره وزهير لفلسفته ونقاوة ألفاظه وايجازه والنابغة لفصاحته والفرزدق لمتانة أسلوبه وجرير لرقته وبشار لبلاغته وحسن أدائه وتسلطه وتجدده وأبو تمام لبراعته فى

---

(١) هو أبو عبادة الوليد بن عبيد الطائى ولد بمنبج من اعمال الشام تخرج بها . ثم خرج الى العراق ومدح جماعة من الخلفاء ويشبهون شعره بسلاسل الذهب لتناسبه . وقد امتاز بقوة التصور توفى سنة ٢٨٤ هـ .

(٢) هو أبو القاسم بن محمد بن هانىء الازدي الاندلسى ويرجعون بنسبه الى آل المهلب بن أبى صفرة . هو أشعر أهل الاندلس على الاطلاق وهو عندهم كالمتنبى فى المشرق توفى سنة ٣٦٣ هـ .

(٣) هو أبو الحسن محمد بن الطاهر ينتهى نسبه الى زين العابدين ابن الحسين رضى الله عنهما وهو المعروف بالموسوى ويجمع شعره الى السلاسة متانة والى السهولة رصانة كما قال الثعالبى وكانت ولادته ببغداد سنة ٣٥٩ وتوفى سنة ٤٠٦ هـ .

السبك . والبحترى لاجادته فى الوصف . والمتنبى لابداعه وكبر معانيه وابن هانىء المغربى لفخامة تراكيبه وأبو العلاء لتصريحه بالحقائق ويعجبنى من هؤلاء أكثر زهير والنابغة والفرزدق وبشار والمتنبى وأبو العلاء المعرى ومن هؤلاء أكثر بشار والمتنبى وأبو العلاء .

وميزان جودة الشعر عندى هو ان يهزنى فاذا هزنى الشعر اخترته غير ملتفت الى مقام قائله .

لقد قرض الشعر الكثيرون فى الورى
وأكثره ما فيه روح ولا فكر
ان الشعر لم يهززك عند سماعه
فليس خليقاً أن يقال له شعر

تعليم الشعر

ويجب على الذين يريدون أن يتقدموا فى صنعة الشعر فيلحقوا بالمبرزين من الشعراء أن يكثروا من حفظ الشعر الجيد فان المكثر من حفظه خليق بأن يكون شعره مثل ما يحفظه أو ينشده .

وأحسن طريقة لتعليم النظم هو ان يلقى المعلم البيت الجيد

من الشعر على المبتدئين منثوراً ويطلب منهم ان ينظموه بعدان يعين لهم الوزن والقافية ثم ينظر فيما نظموه ويظهر لهم خطيئاتهم وضعف تراكيبهم ثم يريهم البيت منظوما كما هو فى الاصل فانهم يتعلمون مع الوقت صوغ الالفاظ والاداء الصحيح عن المعنى المراد نظما بعد أن يكونوا قد عرفوا قواعد العربية

ومما يعين الناظم حفظ الالفاظ المترادفة من المجرد والمزيد والسالم والمعتل والاسماء مثلها فاذا أراد معنى وأخلت كلمة بالوزن أقام غيرها مكانها مما هو بمعناها .

ولا يبرز الشاعر فى شعره الا بأبيات توجد متفرقة فى قصائده تصلح ان يتمثل بها الكاتب فى كتابته والخطيب فى خطبته كأن تكون ناطقة بحكمة بالغة أو حجة دامغة أو مصورة لمنظر من المناظر أو ممثلة لاحساس من الاحساسات مع سلامة الاداء وجزالة الالفاظ ومتانة التركيب

عبقرية الشاعر

عبقرية الشاعر ليست فى جزالة الالفاظ ولا فى حسن الأسلوب بل هى فى الفات الأرواح الى حقائق اجتماعية أومادية

غير منتبه اليها أو فى اظهار أنين يثير فى كل جانب آيات تماثله كأنها صداه ولما كانت معانيه فى الغالب مبتكرة كان أسلوبه فى الشعر مختلفاً عن أساليب غيره من الشعراء .

الشاعر العبقرى يرضى بحكمته العقول وباحساسه الضمائر فهو المهيمن على الالباب والعواطف معاً وهو ذاك الذى لذعته الهموم في فؤاده أكثر من مرة فعرف كيف يئن من قرحه الدفين فيجعل سامعيه يئنون مثله .

انما الشعر من القائل للشعر شعور
ربه في بيته معتكف وهو يدور

ماقصيدي حين أشدو بقصيدي نغمات
انها من مغرم قا سى كثيراً شهقات

هدم الدهر بيوت الشعر والشعر تغنى
فاذا نحن بنينا فعلى الانقاض نبنى

رحل البابل لما حل بالروض الغراب
يقبح الاغرود في أر ض بها يحلو النعاب

ليس بالشاعر من كا ن لما قبل يعيد
انما الشاعر من كا ن له فكر جديد

أيها الشعر سلوى انت فى ساعة همى
ادرأ الاحزان عنى بأبي انت وامى

انا بالشـــعر اهز كما ارجو الانـــاما
انما أوقظ فى الصبح الذيـــ لاح نياما

يحسن الشعر اذا كا ن مثيراً للشعور
واذا كان نزيها كاغاريد الطيور

سجع الحمامة شعر تجيده بالتغنى
ارويه للناس عنها انا وترويه عنى

ياشعر انت لعمرى مصور لشعورى
وانت للنـــاس بالحق ترجمان ضميرى

لاينبض اليوم للشعر فى المحافـــل عرق
كن بلبلا أو غرابا فما هنالك فرق

كم مات معنى جميل في ثوب لفظ رذيل
وعاش معنى قبيح في زى لفظ جميل

أنظم شعورك شعراً ما الشعر الا الشعور
ان الشعور لباب وما سواه قشور

مطالب القصيدة

ومن الشعراء العصريين من لا يجوز أن تشتمل القصيدة الواحدة على مطالب مختلفة كأنه يفضل ان تكون الروضة قد أنبتت شكلا واحداً من الزهر فقط ولكنى لا أرى رأيه وأى لوم على من أطال قصيدته وجعلها فى مطالب مختلفة تربط بعضها ببعض مناسبات بينها وان كانت ضعيفة فيتمتع القارىء أو السامع بألوان مختلفة من الادب في القصيدة الواحدة على أن يكون بين مطلب ومطلب فاصل.

نعم أن الشاعر اذا بدأ يصف شيئاً وجب عليه أن يستوفى ذلك الوصف ثم ينتقل إلى غيره وكذلك إذا شرع يروى قصة وجب عليه أن لا يخرج من الموضوع الا بعد اعطائه حقه ولكن الامر في غير الوصف والقصص ليس كذلك. وانما على

الشاعر العصرى أن يتجنب فى كل ما يقوله المبالغات ويقارب الحقيقة في سيره وان يراعى الاميال العصرية لشعبه الذى يغنى له ويجعل لنفسه من العلوم العصرية وشعوره بما يجرى حوله مادة ينحت منها .

الحكم بين شاعرين

واذا اشتهر شاعران فى عصر فلا يجوز الحكم في المفاضلة بينهما الا باكثرية ما للواحد من جيد الشعر مما للآخر وكذلك الامر في المفاضلة بين قصيدتين .

الشاعر والروى

والشاعر الذى ينظم المعنى ثم يتحرى الكلمة الاخيرة التى يكون فيها الروى يتعب كثيراً وتكون كلمة الروى فى غالب قصيده قلقة غير ملائمة وكذلك الذى ينتخب كلمة الروى أولا ثم يبنى عليها المعنى تكون أبياته فى الغالب غير مرتبطة . والاحسن عندى هو ان يلاحظ الشاعر المعنى أولا وينتقى له كلمة الروى فان لم يجدها انتقل الى غير ذلك المعنى مما يناسب الغرض ويتحرى له كلمة الروى على حد ما قاله عمرو بن معد يكرب

اذا لم تستطع شيئاً فدعه وجاوزه الى ما تستطيع

بل الاولى أن يسير الشاعر بين الطريقين السابقين فيستفيد منهما معاً فلا يخل بالمعنى ولا يقتضب القافية . وهذا صعب إلا على الذين مارسوا الشعر طويلا وكانوا أولى مقدرة وخبرة واسعة باللغة . ومما يؤسف له أن الشاعر فى العربية لا يستطيع ان ينظم نظما سالماً كل معنى يريده في كل بحر من بحور الشعر واكبر سبب لذلك هو عدم ملاءمة القافية أو تعسرها .

ما يتعلق بالشاعر والشعر

والشاعر لا يكون كبيراً إلا اذا كان ذا روح كبيرة حساسة ومادة غزيرة من علم وأدب ممارساً للشعر والممارسة تحتاج الى تنشيط واقبال . وما الشعر إلا شعور الشاعر التابع لشعور الشعب الذي هو فرد منه . واكبر الشعراء هو القادر بشعره على تحويل شعور الشعب وهو فى كل أمة نادر . والشعر الخالد هو ما انطبق على الحقائق فهو وحده الذى يلاقى في كل عصر اقبالا من أهله قال حسان بن ثابت :

وان أحسن شعر أنت قائله

بيت . يقال اذا انشدته صدقا

الشاعر العصرى

الشاعر العصرى هو من كان يقوله بدواع عصرية أكثرها اجتماعى كأن يشاهد ظلامة فيصورها فى شعره داعياً بذلك الامة الى ازالتها وعدم تكرر أمثالها كما يفعل الغربيون فى رواياتهم أو يرى عادة شائنة للمجتمع فيقبحها بتصوير مايلحقه من الاضرار بسببها وهذا أيضاً مما وفاه حقه الروائيون الاخلاقيون فى الغرب . أو يحيط بناموس اجتماعى فيفرغه فى قالب النظم بأحسن ألفاظ وأوجزها ليخف على السمع ويسهل حفظه ويتمثل به كل أحد أو يرى منظراً من المناظر الطبيعية أو حالة من الاحوال الروحية فيصفهما وصفاً يقربهما من الاذهان وهناك مطالب أخر يتفكر بها الشاعر فينظم فيها ما يسترعى به الالباب ويأتى بالعجب العجاب غير خارج فى كل ذلك عن الشعور العربى فلا يقلد الشعور الغربى الذى لا يلائم شعور قومه الذين يريد لمس بشعره أوتار احساساتهم ليثيرها .

والحكم فى اختيار الشعر هو للذوق وحده فقد يفضل زيد مالا يفضله عمرو على أن احسنه هو ما تتفق على اختياره

الاذواق فى كل وقت . والغالب ان يختار كل احد ما يناسب منزلته من المعرفة به

تقسيمي للشعر

أرى ان الشعر فى أصله احساس ثم توسع فيه فكان آونة خيالا ومرة وصفاً أو رواية أو حكمة وهناك شيء فوق الوصف هو التصوير أدخلته فى قسم الوصف . والحكمة تكون اما حقيقة مادية وأما اجتماعية وانى مورد فى مجموعتى « عيون الشعر » ما أجاد فيه شعراؤنا المتقدمون من الاصول الخمسة وهى ما اخترته من مجموع ماوقع عليه بصرى من شعر الجاهلية والاسلام فى المجاميع والدواوين .

أما مثال الاحساس فقول أبى صخر الهذلى :

عجبت لسعى الدهر بينى وبينها
فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر
فيا حبها زدنى جوى وصبابة
ويا سلوة الايام موعدك الحشر
ويا هجر ليلى قد بلغت بى المدى
وزدت على ماليس يبلغه الهجر

وانى لتعرونى لذكراك هزة
كما انتفض العصفور بلله القطر
هجرتك حتى قيل لايعرف الهوى
وزرتك حتى قيل ليس له صبر
أما والذى أبكى وأضحك والذى
أمات وأحيا والذى أمره أمر
لقد تركتنى أحسد الوحش أن أرى
أليفين منها لايروعهما الذعر

وأما مثال الخيال فقول أبى العتاهية :

أتتــه الخلافة منقادة
إليــه تجـرر أذيالهــا
فلم تك تصلح الا له
ولم يك يصلح الا لها

وأما مثال الوصف فقول تأبط شراً :

هما خطتا اما أسار ومنة
واما دم والقتل بالحر أجدر

وأخرى أصادى النفس عنها وانها
لمورد حزم ان أردت ومصدر
فرشت لها صدرى فزل عن الصفا
به جؤجؤ عبل ومتن مخصر
فخالط سهل الأرض لم يكدح الصفا
به كدحة والموت خزيان ينظر

واما مثال الرواية فقول الفرزدق فى الذئب :

وأطلس عسال وما كان صاحباً
دعوت لنارى موهنا فاتانى
فلما اتى قلت ادن دونك انى
وإياك فى زادى لمشتركان
وبت أقد لزاد بينى وبينه
على ضوء نار مرة ودخان
فقلت له لما تكشر ضاحكا
وقائم سيفى فى يدى بمكان
تعش فان عاهدتنى لاتخوننى
تكن مثل من ياذئب يصطحبان

وأنت امرؤ ياذئب والغدر كنتما
اخبين كانا ارضعا بلبان

وأما مثال الحكمة فقول زهير بن أبي سلمى :

تذكرني الاحلام ليلى ومن تطف
عليه خيالات الاحبة يحلم

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش
ثمانين حولا لا أبالك يسأم

رأيت المنايا خبط عشواء من تصب
تمته ومن تخطىء يعمر فيهرم

واعلم ما في اليوم والامس قبله
ولكنني عن علم ما في غد عمي

ومهما تكن عند امرىء من خليقة
وان خالها تخفى على الناس تعلم

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده
فلم يبق الا صورة اللحم والدم

ولا استحسن تقسيم الشعر الى حماسة وفخر ومديح ورثاء وهجاء ونسيب وعتاب كما كان يفعل المتقدمون فان أمثال هذه

ليست باقسام للشعر بل هى من أغراض الشاعر. وقد يحتوى البيت الواحد أو البيتان والثلاثة على أصلين من الاصول التي ذكرتها كأن يكون ما قاله الشاعر منبعثاً عن إحساس وشعور ويكون مع ذلك محتوياً على حقيقة من الحقائق أو وصفاً لحالة من الحالات، مثال ذلك قول النابغة الذبيانى :

حسب الخليلين نأي الأرض بينهما
هذا عليها وهذا تحتها بالى

فان فيه وصفاً واحساساً وحكمة .

انا والشعر

وانى ما نظمت الشعر فى الغالب الا بسائق من المحيط فلم أقله إلا بعد ان كان يجيش فى صدرى لداع خارجى .

للشعر قد قلته لما تطلبنى
ولو تنكب عنى الشعر لم أقل
قد قلت شعراً فلم يسمعه من أحد
الا ترنح فعل الشارب الثمل
له ابتكرت وغيري جاء منتحلا
وليس مبتكر شيئاً كمنتحل

فيه الى اليوم ما قلدت من أحد

وما على غير نفسى فيه متكلي

الشعر ما عاش دهراً بعد قائله

وسار يجرى على الافواه كالمثل

والشعر ما اهتز منه روح سامعه

كمن تكهرب من سلك على غفل

أفعمته حكما تعلو وأمثلة

تحلو فسر به شعب وصفق لى

وقد أعود به أبان انظمه

اذا تذكرت أيامى الى الغزل

يا شعر أنك أحلامى التى حسنت

وانت ذكرى شبابى الناعم الخضل

ولما كانت رغبتى فى الشعر دون رغبتى فى الفلسفة لم أشتغل بنظمه الا فى أوقات منقطعة هى أزمنة وجود السائق وأما فى غالب الاوقات فكنت لا أرود الا منابت الفلسفة وان لنفس الشاعر الحزين من الطبيعة دواعى كثيرة لقرض الشعر فانها تناجيه فيكلمها ويبثها أحزانه فتسمعه صاغية الى شكواه لما

بين نفسه وجمال الطبيعة من ارتباطات حكمها ولوعه به منذ عهد الصبا .

ان سجع الحمام فى الاسحار
وهبوب النعيم بعد القطار
وبريق الندى على الازهار
وخرير الماء الزلال الجارى

موحيات الي بالاشعار

فاذا ما دعا الحمام هديلا سحراً والنسيب هب بليلا
وارانى الندى محياً صقيلا وجرى الماء حيث القى مسيلا

جاش شدو بالشعر فى أفكاري

فترنمت كالطيور صباحاً بقريض يمازج الارواحا
ذاك سر الهوى به القلب باحا فى هتاف يولى النفوس ارتياحا

قد تعلمته من الاطيار

ما أولعنى اليوم بالشعر إذذاك لاني رضعت لبانه فى طفولتى ولعبت بازهاره فى روض الادب وأنا صبى تراقبنى عين والدى لئلا تجرح يدي الاشواك عند ما أقطفها . أم لانى قابلت فى شبابى تلك الكاعب الرادح (العربية) وهى سافرة فتيمنى

وجهها الجميل وسحرتنى عيونها النجل حتى هممت بها وجعلت أغنى فى كل مكان باسمها.

لم أكن أعرف الصبابة حتى
ظهرت لى ليلى بغير قناع
ثم غابت عنى فلم يبق للشمس
بافق الرجاء غير شعاع
ارسلى يا ليلى اذا شئت طيفاً
ليرى من فرط النزوع نزاع
يا مغانى الصبا وارض شبابى
ما طلبت الفراق لولا الدواعى
اسمحى لى أن الثم الجدر والا
حجار وارض منك قبل الوداع
ليس ما تسمعونه من صرير
دون ما تسمعونه من قراع
واذا ما يئست بالشعر من اد
راك ما ابتغى كسرت يراعى

زر مكان الهزار فى الروض تسمع
نغمات تلذ فى الاسماع

أيتها الحمامة

أتذكر أنى اتفقت مع الصبا على أن نزور الروض كل صباح ونحيى أزهاره المطلولة من بنفسج غض وياسمين ونسرين واقحوان وشقيق وان أغرد مع البلبل الصداح أغاريد فى العتاب املاء بها فضاءه

ولعلك أيتها الحمامة قد سمعت شيئاً من أناشيدى حين القيتها على بنات الروض ورأيت دموعى ترتجف فى مآقى فتزل بها أقدامها وتسقط على الازهار مغمى عليها وتختلط هناك بالندى

انى أيتها الحمامة قد ألقيت قصيدتى فصفقت لها أعجابا بما تضمنته من لوعة وشكاة فغنيني أنت أيضاً أيتها الحمامة أو انشدينى شيئاً من شعرك فى الفراق فانك كلما أنشدتنى منه شيئاً ذكرتنى باحبتى الذين رحلوا إلى غير لقاء فهجت في أشجانا هن الدموع التي ترين عيوني مغرورقات بها.

أيتها الحمامة تعالى أقاسمك الهموم تعالى فانا إذا تقاسمناها خف وقرها علينا. ولعل السماء إذا سمعت تشيجنا ورأت انكسارنا

تندم على ما قضت به علينا فترجع أيامنا السعيدة كما كانت وترجع ابتساماتها .

أيتها الزهرة الحمراء

لقد دنا الخريف فهو بعد أيام يزور الروض فتتصوح أزهاره ولا تنفتح البراعم من جديد وتتناثر فى البساتين الاوراق من الافنان وتدوسها الارجل غير مكترثة لها فتحطمها كان لم تكن بالامس خضراء مفعمة حياة ولا كانت زينة للاشجار . هل أنت أيتها الزهرة الذابلة يتيمة فى الروض ليس لها من يبكى بعد موتها على شبابها الغض أيام كانت تبتسم لاشعة الشمس التى كانت تداعبها فى كل شروق . لا تحزنى اذا لوى عنك جيده الهزار عند ما رآك ذاوية توشكين أن تسقطي على الارض وتتبعثرى على التراب .

أنا والشعر سنبكى شبابك اذا كان ما لا نود أن يكون ونقف على جسمك الهامد المعفر بالتراب نادبين الحسن والرواء. أنا أغسل بدموعى عنك ما لصق بك من التراب وأودعك قبراً

أحفره لك تحت شجرة الليمون والشعر يؤبنك عليه وينشد مرثاته فيك .

اقوم فى روضتى صباحا مستمعاً نغمة الهزار
وأبصر الشمس حين تبدو أشعة الشمس كالنضار
فانظم الشعر غير صعب كأنما الشعر من شعارى
شعر قد اخترته لنفسى والناس منه على الخيار
كأنه الحق حين يتلى وما على الحق من غبار
علمنى أن أجيد فيه طول تعاطيه واختبارى
والشعر ان لم يصف ذويه فهو كثوب لهم معار

أيتها الزهرة الجميلة انك ان ذويت وذهب عنك ذاك الرواء الذى كان يملأ العين اعجاباً فان ذكراك تبقى طرية لا تبرح من قلبى واينما التفت أرى خيالك امام عينى يبتسم لى مخففاً من تأثير الدهر العابس فى وجهى

جاء الخريف مبكراً فتجردت فى الدوح من اوراقها الافنان
قد كان ريحان وكانت روضة واليوم لا روض ولا ريحان
يبنى الهزار على الغصون لنفسه عشاً فتهدم عشه الغربان

أيتها الزهرة الذاوية انى سألحق بك بعد ان تتوسدى

التراب . أنك أيتها الزهرة قد وجدت منى من يبكى عليك بعد موتك ولكن هل أجد انا اذا مت من يذرف دمعة على قبرى بلى ان فى العراق من يحزن لموتى كما فيه من يفرح له

ان الربيع كثيرة اوراده فاذا انقضى لم يبق من اوراد
ان مت تحزن فى العراق أحبة حيناً وتفرح فى العراق اعادى

الشعر

لمعروف الرصافى

الاستاذ معروف الرصافي : —

الشاعر ، النابغة والرصافى ، وأحد أمراء دولة الشعر فى هذ العصر ، أحسن الى بغداد بل الى العراق أجمع بما اكسبه إياه من الفخر الأدبى ، والعراق والعراقيون عنه فى شغل . عرفته بشعره قبل ان عرفته بشخصه فكنت أتخيله فتى نحيفاً خفيف الحركة كثير الكلام ، حتى أسعدتنى الأيام بلقياه ومجالسته ، فاذا به رجل كبير الجثة متين العضل طويل القامة يزينه الوقار وتعلوه المهابة . مقل فى حديثه الناضج يحب الصراحة فى القول والفكر ذو نفس عزيزة لا تعرف التساهل فى موقف الاباء ، كان من شعره صيحات عملت — مع غيرها — على تقويض معالم الاستبداد الحميدى . أخرج ديوانه الاول للناس فاجمعت صحافة العرب على أنه الديوان العصرى البليغ بحق ، وان صاحبه مبتكر طريقة النظم الاجتماعى وفارس الميدان فيه .

هذا وانى لأعلم أن شاعرنا قليل النظم فى هذه الأيام وجل ماينشده فى الحفلات على الطلب من منظوماته القديمة غير المعروفة . وعندى أن ما طبع أو نشر من قصائده لايدل على منزلته الفكرية وحرية ضميره بل ان هناك قصائد ومقطوعات لم تطبع وتذاع سيكون نصيبها الخلود فى أدب الضاد لما حوته من المصارحة بالحقائق الاجتماعية الموجعة مما لم

يتعوده الشعر العربي قبل اليوم [1]

تعريفه :

الشعر كالحسن لا يوقف له عند حد . وقصارى ما نقول اذا أردنا أن نعرفه أنه مرآة من الشعور تنعكس فيها صور الطبيعة بواسطة الالفاظ انعكاساً يؤثر فى النفوس انقباضاً أو انبساطاً . فقولنا بواسطة الالفاظ قيد احترازى يخرج به فسماء الشعر من الفنون الجميلة المسماة عند القوم بالآداب الرفيعة كالرسم والنحت والموسيقى فانها تشارك الشعر فى كونها منعكساً لصور الطبيعة ولكن لا بواسطة الالفاظ بل بواسطة الخطوط والألوان فى الرسم والاشكال البارزة فى النحت والالحان والانغام فى الموسيقى . وقولنا « صور الطبيعة » معناه صور ما فى الطبيعة فيشمل المعانى الخفية والخيالات الوهمية والموجودات الصناعية التى صنعتها يد البشر أيضاً . وأطلقنا فى التعريف صور الطبيعة ولم نقيدها بالحسن لان الشعر لا يصور الحسن فقط بل قد يصور القبيح أيضاً كما فى الاهاجى وربما يصور الشعر ليلة ذات ظلام دامس

(١) من مقال لجامع هذا الكتاب فى ادباء العراق المعاصرين نشر فى الجزء الثالث من المجلد الاول لمجلة « الناشئة » البغدادية .

وبرد قارس ورياح روامس أو يصور مشهداً فظيعاً من مشاهد الظلم والعسف أو منظراً محزناً من مناظر الفقر والبؤس وكل ذلك ليس من محاسن الطبيعة كما لا يخفى

ثم ان هـذا التعريف يتناول المنظوم والمنثور من الشعر وهو كذلك فان الشعر قد يكون فى المنثور كما يكون فى المنظوم ولـكن الغالب فى المنظوم أن يكون واسطة لبيان المعانى الشعرية أى لبيان سانحات الحسن والخيال بخلاف المنثور فان الغالب فيه أن يكون واسطة لبيان ما هو من ثمار العقل ونتائجه ولذلك أكثرت العرب اطـلاق اسم الشعر على المنظوم حتى قال المتقدمون من أهل الأدب فى تعريف الشعر « أنه كلام ذو وزن وقافية » وهو تعريف للاعم الاغلب من الشعر أو للفرد الـكامل منه وهو الشعر المنظوم لما قدمنا بيانه من المزايا التى امتاز بهـا المنظوم على المنثور . وإلا فهم يعلمون أن الشعر لا يختص بالمنظوم وانه قد يكون منثوراً

ومن الدليل على أن العرب لا يخصون الشعر بالمنظوم ماحكاه لنا كتاب الله عنهم من قولهم للنبى صلى الله عليه وسلم أنه شاعر اذ قالوا فى كلام الله تعالى أنه قول شاعر مع أنهم يرونه غير موزون

ولا مقفى ولم يرد الله عليهم باكثر من قوله « وماهو بقول شاعر » ولو كان الشعر عندهم خاصاً بذى الوزن والقافية للزم أن يقال لهم فى الرد عليهم كيف يكون قول شاعر وهو كما ترون عديم الوزن والقافية

ومما يروى عن الاصمعى [1] أنه قال : قلت لبشار بن برد أنى رأيت رجال الرأى يتعجبون من أبياتك فى المشورة فقال أنا علمت ان المشاور بين إحدى الحسنيين بين صواب يفوز بثمرته أو خطأ يشارك فى مكروهه فقلت له والله أنت فى كلامك هذا أشعر منك فى أبياتك.

فقد جعل الاصمعى وناهيك به من أمام فى الأدب كلام بشار المنثور شعراً اذ قال له أنت فى هذا الكلام أشعر واسم التفضيل يقتضى المشاركة والزيادة . فهذا أيضاً يدل على أنهم لا يخصون الشعر بالمنظوم وان الشعر عندهم قد يكون منثوراً.

(١) هو أبو سعيد عبد الملك بن قريب واصمع جده الخامس وينتهى نسبه الى مضر بن نزار بن معد وهو من اهل البصرة وقدم بغداد فى خلافة الرشيد . كان إماماً فى اللغة والغرائب والملح كثير الحفظ قوى الذاكرة ولد سنة ١٢٢ وتوفى سنة ٢١٦ هـ بالبصرة

والذى يتحصل مما تقدم هو ان المنظوم سمي شعراً لا لكونه ذا وزن وقافية بل لكونه فى الغالب يتضمن المعاني الشعرية وإن شئت فقل لكون العرب فى الغالب لا تنظم الكلام إلا شعراً وإذا تدبرت هذا جيداً هان عليك التوفيق بين تعريفنا للشعر وبين تعريف المتقدمين له .

مبدأ الشعر ونشأته :

نريد أن نتكلم بعد تعريف الشعر عن مبدأه ونشأته فنبين كيف بدأ الشعر ومن أين نشأ وفى أي حجر ربي وأية أم ثدى أرضعته لبانها فنما وترعرع حتى بلغ ماهو عليه اليوم من أشده. ولكنا نعنى بالشعر ههنا الشعر المنظوم جريا على ماجرت عليه العرب من قديم الزمان للسبب الذى تقدم بيانه فنقول :

إن القمر يطلع علينا فى مرسح الجو فيمثل لنا بصفحاته المختلفة فى كل شهر رواية من روايات الطبيعة تتجلى بها لأعيننا سنة الله التى سنها فى خلقه من الارتقاء الطبيعى والتكامل التدريجى بتلك السنة التى قضى الله تعالى على كل شيء أن يتدرج بها من الصغر الى الكبر ومن البساطة الى التركيب فكل شيء منحط فى بدأته ثم يرتقي وناقص فى أول نشأته ثم يتكامل وبسيط

في مبتدأ وجوده ثم يتركب . سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا .

ولا ريب ان كلام البشر لم يخرج فى تكونه عن حدود هذا الناموس الطبيعى ولم يحد فى نشأته عن هـذا السنن الآلهى فهو اذن قد تكون فى أول الأمر بسيطاً ثم تركب ونشأ فى بدأته منحطاً ثم ارتقى الى ماهو عليه اليوم .

لقد مر على كلام العرب ثلاثة أدوار انتقل فيها بمر الزمان من طور إلى طور وتدرج من حال الى حال فاولها دور البساطة وهو الدور الذي كان الكلام فيه بسيطاً ساذجا خالياً من كل تفنن فى أسلوبه وتصـنع فى ألفاظه بحيث لا يكاد يعرب عما فى ضمير المتكلم تمام الاعراب .

ثم ارتقى مع الزمان بالتدريج حتى وجدت فيه القافية فانتقل بها إلى دوره الثانى وهو دور السجع . والسجع هو الكلام المقفى أو موالاة الكلام على روي واحد

ولا شك ان هذا السجع انما وجد بادىء بدء فى كلام بعض الأفراد وربما كان وجوده بطريق المصادفة اذ قد يتفق للمتكلم أن يأتى فى كلامه بجملتين متواطئتين فى الآخر على حرف واحد من غير قصـد . وسواء كان وجود أول سجعة فى كلام العرب

ناتجاً عن قصد أو غير قصد فلا بد أنها قد أعجبت السامعين وكان لها وقع فى نفوسهم لكونها شيئاً جديداً فى الكلام لم تطرق أسماعهم من قبل . ولاعجابهم بها صاروا يقلدون قائلها ويبارونه فى النطق بما يماثلها حتى كثر السجع وفشا فى كلامهم وصار السجع شعرهم الذى به يتغنون ودعاؤهم الذى به يتعبدون .

كان السجع فاشياً فى كلام العرب الأولين من أهل الجاهلية وكان أحدهم يسرد الكلام المسجع سرداً دون تكلف ولا تروٍ . وكانوا يلتزمون السجع فى أكثر كلامهم لا سيما كلامهم فى خطبهم ومنافراتهم ومفاخراتهم سواء فى ذلك رجالهم ونساؤهم حتى ولدانهم وجواريهم الصغار . ولا حاجة أن نورد ههنا شيئاً من الشواهد على ذلك فان كتب الأدب مشحونة باساجيعهم فاذا رجعت اليها وتدبرتها علمت ان العرب مارسوا السجع وزاولوه فى أزمنة طويلة حتى طبعوا عليه فاصبح لهم طبيعة تنتقل فيهم بالارث الطبيعى من الاباء الى الابناء .

ثم أن الكلام بعد ان دخل فى دور السجع أى القافية واستمر فيه قروناً عديدة ارتقى منه الى دوره الثالث وهو دور الوزن . ومما لا يستراب فيه أن الوزن فى الكلام قد تولد من

السجع وله فى تولده منه نواتج وقوابل ودايات فمن نواتجه الاتفاق والمصادفة ومن قوابله الاغانى ومن دایاته الرقص

وتوضيحاً لذلك نقول : من الجائز المحتمل أن يأتى الكلام موزوناً من غير قصد كما نراه واقعاً فى كلام الناس ومحاوراتهم كل يوم وقد وقع ذلك فى القرآن أيضاً وهذا الاحتمال يزداد فى الكلام المسجع لان الكلام بواسطة السجع ينقسم الى جمل ذوات فواصل متواطئة على حرف واحد وبذلك تقصر مسافة البعد بين الكلام والوزن خصوصاً فى السجع الموازى وهو ما تطابقت قرائنه فى الطول والقصر وذلك هو السجع المقبول عندهم . ففى مثل هذا السجع يكون الكلام قد أخذ القافية ولم يبق بينه وبين الوزن سوى مسافة قصيرة يسهل على التصادف أن يطويها فتأتى قرينتان من الكلام المسجع متطابقتين فى الحركات والسكنات وذلك هو الوزن .

ثم أن العرب فى الدور الثانى من أدوار كلامهم يتغنون بالسجع فكانت أغانيهم مسجعة لا محالة إذ لم يكن لهم شعر غير الكلام المسجع . على أنهم كانوا يتغنون قبل دور السجع أيضاً لان الغناء وجد فى البشر مع الكلام فهما أعنى الغناء والكلام

توأمان ولدا معاً وكلاهما من الضروريات الطبيعية للانسان ولكنهم قبل دور السجع كانوا يتغنون غناء بسيطاً ساذجاً ككلامهم حتى اذا ارتقى كلامهم إلى السجع ارتقى معه غناؤهم . ومن هنا تعلم ان الكلام والغناء قد مشيا فى البشر جنباً لجنب فى جميع أدوار رقيهما .

قلنا آنفاً أن مسافة ما بين الكلام والوزن قد قصرت بالسجع ونقول الآن أن تلك المسافة تزداد قصراً عند ما يقترن السجع بالغناء فاقتران السجع بالغناء يزيد احتمال وقوع الوزن فيه بطريق الاتفاق والمصادفة زيادة اكثر مما اذا كان غير مقترن به . وذلك لان الغناء يكسب الكلام المتغنى به لحناً خاصاً ويجريه على تقاطيع وتواقيع خاصة تجذب الشخص المتغنى الى اخراج كلامه منطبقاً عليها من حيث لا يشعر . ولهذا السبب يكون احتمال وقوع الوزن بالتصادف فى كلام المتغنى اكثر من احتمال وقوعه فى كلام غير المتغنى .

أما اذا اقترن الغناء بالرقص فقد انقضى العجب من وقوع الوزن فى كلام الراقص المتغنى وربما يتعجب الانسان حينئذ من خروج الكلام غير موزون لان الرقص عبارة عن حركات

متوازنة وأوضاع متناظرة تصدر عن وجد يندفع به الراقص اليها. فلا بد للراقص المتغنى من أن يخرج كلامه منطبقاً على تلك الاوضاع والحركات شاء أو لم يشاء. وعليه فمسافة ما بين الكلام والوزن تزيد بالرقص قصراً على قصر حتى لم يبق بينهما اكثر من قيد شبر وحينئذ ينقضى العجب من وقوع الوزن فى الكلام بطريق المصادفة

ولقد علمنا مما تقدم كيف تولد الوزن من السجع وعرفنا العوامل التى ولدته ولكن أى وزن من أوزان الشعر المعلومة كان أول مولود فى الكلام ؟

هذا مانريد أن نتكلم عنه فنقول ، ان احتمال وقوع الوزن فى الكلام بطريق المصادفة يختلف قوة وضعفاً باختلاف الاوزان الشعرية بساطة وتركيباً فما كان من الاوزان أبسط كان ذلك الاحتمال فيها اكثر وأقوى والعكس بالعكس. ونعني ببساطة الوزن هنا سهولته على القريحة وخفته على الطبع وقرب مأخذه من الكلام المنثور بحيث يكون انطلاق الانسان به سهلا وجرى الطبع عليه هيناً .

وإذا نظرنا فى أوزان الشعر وجدنا ابسطها الرجز إذ هو

أسهلها على القريحة واخفها على الطبع واقربها الى النثر وما الفرق بينه وبين الكلام المسجوع سوى وزن قريب المأخذ سهل التناول حتى يصح أن يقال أن كل شاعر تبدأ شاعريته بالرجز وما ذلك الا لسهولته وقرب مأخذه . وعليه فيجب أن يكون الرجز هو أول مولود من الشعر لان احتمال وقوعه فى الكلام أكثر وأقوى من احتمال وقوع غيره من الاوزان بكونه ابسطها .

ويؤيد كون الرجز أول مولود من الشعر ما ذكروه فى كتبهم من ان الرجز أقدم الشعر ومعنى ذلك انه كان ولم يكن معه شعر آخر .

لاريب أن اسماء الابحر الشعرية كالطويل والمديد والخفيف وغيره كلها أسماء مصطلح عليها بعد ظهور الاسلام ولم يكن العرب الاولون يسمون الشعر بها وانما كان للشعر كله عندهم اسمان الرجز والقصيد فكل ما لم يكن رجزاً سموه قصيداً من أى بحر كان ويدل على ذلك قول الاغلب الراجز العجلى لما استنشده المغيرة بن شعبة وهو على الكوفة .

ارجزاً تريد أم قصيدا لقد سألت هينا موجودا

فالشعر عندهم أما رجز وأما قصيد ولا ثالث لهما . والقصيد

اسم جنس جمعى واحدته قصيدة . واذا كان الرجز أقدم من القصيد لزم أن يكون هو أول وزن تولد من الكلام المسجع وذلك ما قلناه .

والنتيجة هى أن السجع حلقة اتصال بين النثر والنظم وان الوزن متولد من السجع وان أول مولود من اوزان الشعر هو الرجز وان هذا الولد البكر أبوه المصادفة وأمه الغناء ودايته الرقص. أما القافية فهي واسطة التعارف بين أبيه وامه .

هذا . ومن قال أن الرجز مأخوذ من توقيع سير الجمال فى الصحراء بحجة أنه أول ما استعمله العرب لسوق الجمال فى الحداء فقد أخطأ المرمى وكل من تأمل فى الرجز منهوكه ومشطوره وفى سير الابل رأى بينهما بوناً بعيداً جداً لشدة تتابع أجزاء الرجز فى اللفظ وسرعة انحدارها وتسردها فى الفم عند الانشاد وذلك ينافى سير الابل الوئيد بسبب جسامتها وكونها فسيحة الخطى. ولا يلزم من استعمال الرجز لسوق الجمال فى بعض الاحيان كونه مأخوذاً من توقيع سيرها . ومن الغريب ان صاحب هذا الرأى قد ادعى أن تقطيع الرجز يوافق وقع خطى الجمال مع ان فى تقطيعه من سرعة الانحدار والتسرد وتدارك المقاطع ما ينافي كل المنافاة

وقع خطى الجمال لما فى تلك الخطى من التؤدة والرزانة بسبب انفساح مواقعها وطول القوائم المرتمية من تحت تلك الجثة العالية الضخمة . ولو سلمنا ان تقطيع الرجز يوافق وقع خطى الابل لما سلمناه أنه يلزم من ذلك كون الرجز مأخوذاً من وقع تلك الخطى اذ لو لزم منه ذلك للزم أن يكون وزن الكامل ولا سيما مجزؤه مأخوذاً أيضاً من وقع خطى الجمال بطريق الأولى لانه يوافق وقع تلك الخطى اكثر من الرجز ويطابقها تمام المطابقة حتى أنك لو امتطيت جملا وجعلت وهو سائر بك سيراً وئيداً تنشد عليه شعراً من الكامل أو مجزؤه لرأيت عند تمام كل جزء من تفاعيله وقع يد من يدى جملك كما هو ظاهر للمتأمل. ولو اردنا أن نناقش صاحب هذا الرأى الحساب لطال الكلام ولكنا نترك ذلك لأولى الذوق السليم والنظر الصحيح.

انا و الشعر

أرى الشعر احياناً يجيش بخاطرى
ويبذل ما قد عز لى من مصونه
ويسكن أحياناً فاشجى وانما
تحرك شجوي ناشىء من سكونه
وقد أتوخى الهزل منه مجارياً
لدهر أراه موغلا فى مجونه
ولكن نفسى وهى نفس حزينة
تميل الى المشجى لها من حزينه
وقد علم الراوون شعرى بانهم
إذا أنشدوه أطربوا بلحونه
وأنى إذا استنبطته من قريحتى
شفيت صدى الراوى يبرد معينه
وانى على علم طويت سهوله
ولم أتحير خابطاً فى حزونه

وانى لمحاص له بسليقة
أبت غثه واستوثقت من سمينه
وهل يخطر الشعر الركيك بخاطرى
اذا كان فى طوعى اختشاب متينه
الا لاهتدت بالشعر يوماً هواجسى
اذا هى لم تنزع الى مستبينه
ولا غصت فى بحر القريض مخاطراً
اذا لم أفز من دره بثمينه
على ان لى طبعاً لبيقاً بوشيه
نزوعاً إلى أبكاره دون عونه
اذا انتظمت أبياته فى قصائدى
ترى كل بيت ممسكا بقرينه
وما كان دوح الشعر يوماً لتجتنى
بغير اليد الطولى ثمار غصونه
ولم يستفد الا لذى ألمعية
يكون كرأى العين رجم ظنونه

وانى قد مارسته بفطانة
يلوح سناها غرة فى جبينه

***

لعمرك ان الشعر صمصام حكمة
وان النهى معدودة من قيونه
إذا جنى ليل الشكوك سللته
عليه ففراه بفجر يقينه
وما الشعر الا مؤنسى عند وحشتى
ومسلى فؤادى عند ورى شجونه
تقوم مقام الدمع لى نفثاته
اذا الدهر ابكانى بريب منونه
واجعله للكون مرآة عبرة
فيظهر لى فيها خيال شؤونه
فأبصر أسرار الزمان التى انطوت
بما دار فى الاحقاب من منجنونه
وللشعر عين لو نظرت بنورها
الى الغيب لاستشففت ما فى بطونه

واذن لو استصغيتها نحو كاتم
سمعت بها منه حديث قرونه

* * *

وليل الى شعراه ارسلت فكرتى
رسولا بشعرى حاملا لرقينه
سل الليل عنى نسره وسماكه
ونجم سهاه والجدي خدينه
فكم بت فى نهر المجرة فى الدجى
من الشعر أجرى منشآت سفينه
هو الشعر لاأعتاض عنه بغيره
ولا عن قوافيه ولا عن فنونه
ولو سلبتنيه الحوادث فى الدنا
لما عشت أو ما رمت عيشاً بدونه
اذا كان من معنى الشعور اشتقاقه
فما بعده للمرء غير جنونه

خواطر شاعر

لعمرك ما كل انكسار له جبْر
ولا كلُّ سرّ يُستطاع به الجهر
لقد ضربت كفُّ الحياة على الحجا
ستاراً فعلِمُ القوم في كنهها نَزْرُ
فقمنا جميعاً من وراء ستارها
نقول بشوق ما وراءك يا سترُ
حكت سرحة فنواء تبصر فرعها
ولم ندر منها ما الأنابيش والجذرَ
وقد قال بعض القوم أن حياتنا
كليل وان الفجر مطلعه القبر
فان كان هذا القول فيها حقيقة
فيا شد ما قد شاقنى ذلك الفجر
وروح الفتى بعد الردى إن يكن لها
بقاء وحسٌ فالحياة هى الخسر

وان رقيت نحو السماء فحبّذا
اذا أصبحت مأوى لها الانجم الزهر

وأعجب شان فى الحياة شعورنا
وأعجب شأن فى الشعور هو الحجر
وللنفس فى أفق الشعور مخايلٌ
إذا أبرقت فالفكر فى برقها قطرُ
وما كل مشعور به من شؤونها
قديرٌ على ايضاحه المنطق الحرُّ
ففى النفس ما أعيا العبارة كشفه
وقصّر عن تبيانه النظمُ والنثر
ومن خاطرات النفس ما لم يقم به
بيان ولم ينهض باعبائه الشعر
ويا رُبَّ فكرٍ حاك فى صدر ناطقٍ
فضاق من النطق الفسيح به الصَّدرُ
ويا رُبَّ معنى دقَّ حتى تخاوصت
اليه من الألفاظ أعينها الخُزْرُ

أرى اللفظ معدوداً فكيف أسومُهُ
كغاية معنىً فاته العدُّ والحصرُ
وأفق المعانى فى التصوُّرِ واسعٌ
يتيه اذا ما طار في جوّه الفكرُ
ولولا قصور فى اللغى عن مرامنا
لما كان فى قول المجازى لنا عذرُ
ولستُ أخصُّ الشعر بالكلم التى
تنظم أبياتاً كما ينظم الدرُّ
وذاك لأن الشعر أوسع من كفى
يكون على فعل اللسان لها قصرُ
وما الشعر الا كلُّ ما رنح الفتى
كما رنحت اعطاف شاربها الخمرُ
وحرَّك فيه ساكن الوجد فاغتدى
مهيجاً كما يسقف فى المرح المُهرُ
فمن نفثات الشعر سجع حمامة
على أيكة يشجى الحزين لها هدرُ

ومن نفثات الشعر حدم فراشه
على الزهر فى روض به ابتسم الزهر
ومن نفثات الشعر دمعة عاشقٍ
بها قد شكا للحب ما فعل الهجرُ
ومن نفثات الشعر نظرة غادةٍ
بمجلاء تسبى القلب فى طرفها فترُ
ومن نفثات الشعر رنة ثاكلٍ
مفجعة أودى بواحدها الدهر
ومن نفثات الشعر ترجيع مطربٍ
تعاود مجرى صوته الخفض والنبرُ
ومن نفثات الشعر تغريد بلبلٍ
لدى جنة قد فاح من وردها نشر
ومن نفثات الشعر نغمة أرغن
وترنيم مزمار به اطّرد الزمر
وان من الشعر ائتلاق كواكبٍ
بجنح الدجى باتت يضاحكها البدرُ

وان ابتسام الغيد عن كل أشنب
ليطرب نفسى فوق ما اطرب الشعر
فان لم يكن هذا من الشعر لم يكن
لعمر النهى للشعر عند النهى قدر

الشعر والشعراء (*)

ولو لا خلال سنّها الشعر ما درى
بناة المعالى كيف تبنى المكارمُ

قال أبو نصر المقدسى الشعر ديوان العرب ومعدن حكمتها وكنز أدبها . وقيل النثر يتطاير تطاير الشرر والشعر يبقى بقاء النقش فى الحجر . وقال دعبل كان امرؤ القيس من أدباء الملوك وكان من أهل بيته وبنى أبيه اكثر من ثلاثين ملكا فبادوا وباد ذكرهم وبقى ذكره الى يوم القيامة وانما أمسك ذكره شعرهُ .

وقال باكون (Bacon) (١) الفليسوف الانكليزى « حسبك

(*) من افتتاحية لمجلة المقتطف الشهيرة لصاحبيها العلامتين الكبيرين الدكتور يعقوب صروف والدكتور فارس نمر .

(١) فيلسوف انكليزى ولد فى لندن سنة ١٥٦١ وتوفى سنة ١٦٢٦

شاهداً على خلود شعر الشعراء العظماء أنه مر على أشعار هوميروس[١] ألفان وخمسة مئة عام ولم يفقد منها كلمة ولا حرف ولكن كم من قصر وهيكل وقلعة ومدينة أخنى عليها الدهر فى هذا الزمان الطويل وجعلها أثراً بعد عين . ولقد يتعذر علينا حفظ صورة قورش وقيصر وغيرهما من الملوك والعظماء ولكن الصور التى يصورها الذكاء والرسوم التى ترسمها القرائح ترسخ فى بطون الأوراق آمنة من نكبات الدهر وكرور الأيام. وما هى بصور صماء ولا هي رسوم صامتة انها الا أشباح حية تنمو فى الفصول وتثمر فيها ويتوالى نموها وجناها على توالى الاعقاب . فاذا استعظم استنباط السفن لأنها تنقل البضائع والتحف بين البلدان الشاسعة فاختراع الكتابة أعظم وأجل لأنها تنقل الحكمة والذكاء فى بحار الادهار »

وقال ابن الرشيق[٢] وأجاد

انما الشعر ما تناسب فى النظ م وان كان فى الصفات فنونا

(١) شيخ شعراء اليونان وأحد أعاظم شعراء الدنيا مؤلف الالياذة والاوديسه (٢) هو ابو العباس الحسن بن رشيق من أهل القيروان. توفى سنة ٤٥٦ هـ وله مصنفات ادبية غالية .

كل معنى أتاك منه على ما تتمنى لو لم يكن أن يكونا
فتناهى من البيان الى ان كاد حسناً يبين للناظرينا
فكأن الألفاظ منه وجوهٌ والمعانى ركبن فيه عيونا

وقال شكسبير الانكليزى ما ترجمته :

قسم الشعور على الآنام وانما جبلت به العشاق والشعراء
كم شاعر رمق الفضاء بطرفه فبدا له منه سنى وسناء
وأراك من صور الخيال حقائقاً تعطى لها الاوصاف والاسماء

وللشعر مقام فى النفوس وسحر فى العقول ولقد اعترف له الجميع بهذه المزية فى مشارق الارض ومغاربها وفى قديم الأيام وحديثها . ذكر فلوطرخس أن اهالى صقلية استحبوا كل مما يعرف اشعار يوريبدس من الاثنين بعد أن تغلبوا عليهم أمام سرقوسة واستباحوهم قتلاً . وكان أهالى صقلية يفضلون يوريبدس على كل شعراء اليونان ويتعلمون كل بيت يسمعونه من اشعاره من أفواه الغرباء الذين يدخلون بلادهم فعاد الذين نجوا باستظهارهم اشعاره الى أثينا وشكروه على حسن صنيعه .

وذكر ابن خلكان [1] أنه لما قدم نصر بن منيع بين يدي

(١) هو قاضي القضاة شمس الدين أبو العباس احمد ابن ابراهيم

المأمون وكان قد أمر بضرب عنقه قال يا أمير المؤمنين اسمع مني كلمات أقولها قال قل فانشأ يقول :

زعموا بان الصقر صادف مرة ... عصفور بر ساقه التقدير

فتكلم العصفور تحت خيامه ... والصقر منقض عليه يطير

انى لمثلك ما أتم لقمة ... ولئن شويت فانني لحقير

فتهاون الصقر المدل بصيده ... كرماً وأفلت ذلك العصفور

فعفا المأمون عنه .

ونحن فى هـذا العصر لا نأمل أن أحداً ينجو من القتل بشعر غيره ولا بشعره ولـكن الشـعر قد ينجينا ما يقرب من القتل ألا وهو الهموم والغموم والاكدار التى تكدر الحياة والاتعاب التى تنهك القوى قال السير جون لبك [1] كم من مرة تنهكنا الاتعاب وتقلقنا الهموم فنأخذ أشعار هوميروس أو

ابن أبي بكر خلكان الاربلى ولد سنة ٦٠٨ بمدينة اربل كان كاتباً بليغاً وشاعراً مجيداً. واسع الاطلاع شديد التحرى والضبط. وتاريخه (وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان) أفضل ما بايدى الناس من كتب التراجم مات بدمشق سنة ٦٨١

(١) شاعر لاتينى كبير

هوراس أو شكسبير أو ملتون[1] ولا نكاد نقرأ صفحة منها حتى تنقشع من أمامنا غيوم الغموم وتحل عقد الاعصاب وتنتعش منا النفوس وتتجدد فينا القوى وتعود الينا بهجة الحياة ولذتها» وقال عمر بن الخطاب : الشعر جزل من كلام العرب يسكن به الغيظ وتطفأ به الثائرة ويبلغ له القوم فى ناديهم. وقال كلدج الكاتب الانكليزى : الشعر سكن خاطرى وضاعف مسراتى وحبب الي العزلة ورغبني فى اكتشاف كل منقبة وجمال فى ما حولى.

وقد يظن من يقصر اطلاعه على ما وصفه أدباء العرب فى وصف الشعر والشعراء أن الشعراء من العرب والشعر فيهم خاصة وان اشعار الاعاجم التى يعثر عليها المبتدىء فى تعلم اللغات الاعجمية هى من نخبة ما نظمه شعراؤهم . ويظن من يقصر اطلاعه على ما وضعه بعض أدباء الاعاجم أن الشعر خاص بهم وان لا شعر فى العربية لأن أشعار المحدثين منهم والمولدين قلما تعد من الشعر فى شىء وفى الظنين خطأ فاحش لأن أشعار الاعاجم

(١) شاعر انكليزى كبير أعمى ومؤلف (الفردوس المفقود) ولد سنة ١٦٠٨ فى لندن وتوفى سنة ١٦٧٤

من الهنود والفرس والمصريين واليونانيين والرومانيين والايطاليين والانكليز والفرنسويين والالمانيين آخذة باطراف البلاغة جامعة لمبتكرات المعانى تصف الارض وماعليها والسماء وما فيها والنفس وجوانحها والعقل وقواه والطبائع والغرائز والاخلاق والعوائد وصفاً يريك الموصوف فى شكله الطبيعى وقد فاض عليه نور السماء أو اكتنفته ظلمة الليل البهيم أو تجلى بحلى البهاء أو نسجت عليه عناكب النسيان . ولم يزل فحول شعرائهم متبعين هذه الخطة متبارين فى هذا المضمار يجارون العلماء والحكماء لا يتركون حقيقة من حقائق العلم ولا ناموساً من نواميس الكون ولا خلقاً من أخلاق البشر ولا غريزة من غرائز الحيوان ولا مكتشفاً من المكتشفات الحديثة الا ضمنوه أشعارهم وأفاضوا عليه من نور قرائحهم .

وقد كان شعراء العرب في الجاهلية ينحون هذا النحو ويتبعون هذه الخطة فيصفون مايشاهدونه وما يشعرون به وصفاً طبيعياً بليغاً خالياً من التكلف والتعقيد لا كا كثر المحدثين الذين يصفون الحجاز وهم فى الشام ولم يدخلوا الحجاز ولا اكتحلت عينهم بمرآه ويشببون بآرام رامة وهم لم يروا ريماً ولا عرفوا له شبهاً

ويتغزلون بالغيد الحسان وهم شيوخ طاعنون ولم يروا غادة ولا فى المنام . وانا لزيادة الايضاح نذكر بعض الامثلة من أشعار الجاهلية ليقابلها المنتقد البصير باشعار المحدثين . قال النابغة الذبياتى يعتذر الى الملك النعمان وكان قد جفاه

١ يا دار مية فالعلياء فالسند
أقوت وطال عليها سالف الامد

٢ وقفت فيها أصيلا لا أسائلها
عيت جواباً وما بالربع من أحد

٣ الا أوارىّ لأيا ما ابينها
والنؤى كالحوض بالمظلومة الجلد

٤ ردت عليه أقاصيه ولبده
حزب الوليدة بالمسحاة فى الثأد

٥ خلّت سبيل أتى كان يحبسه
ورفّعته الى السجفين فالنضد

٦ أضحت خلاء وأضحى أهلها احتملوا
أخنى عليها الذى أخنى على لبد

٧ فعدَّ عما مضى اذ لا ارتجاع له
وانم القتود على عيرانة اجد

٨ مقذوفة بدخيس النحض بازلها
له صريف صريف القعو بالمسد

٩ كأن رحلي وقد زال النهار بنا
بذي الجليل على مستأنس وحد

١٠ من وحش وجرة موشي أكارعه
طاوي المصير كسيف الصيقل الفرد

١١ سرت عليه من الجوزاء سارية
تزجي الشمال عليه جامد البرد

١٢ فارتاع من صوت كلاب فبات له
طوع الشوامت من خوف ومن صرد

١٣ فهاب حزان منه حيث يوزعه
طعن المعارك عند المحجر النجد

١٤ شك القريصة بالمدرى فأنفذها
شك المبيطر إذ يشفي من العضد

١٥ كأنه خارجاً من جنب صفحته
سفود شرب نسوه عند مفتاد
١٦ فظل يعجم أعلى الروق منقبضاً
فى حالك اللون صدق غير ذى أود
١٧ لما رأى واشق أقعاص صاحبه
ولا سبيل الى عقل ولا قود
قالت له النفس انى لا أرى طمعاً
وإلا مولاك لم يسلم ولم يصد
فتلك تبلغنى النعمان ان له
فضلا على الناس فى الأدنى وفي البعد

ومعنى هذه الأبيات على ترتيبها .(١) ان الشاعر وقف على دار عشيقته فوجدها خالية من السكان فتذكر من كان فيها وجعل يخاطبها استراحة منه اليها وتوجعاً على من ذهب عنها . (٢) وكان الوقت قصيراً ولكن شغفه بالدار لم يمنعه من الوقوف فيها ومخاطبتها الا أنها لم ترد عليه جواباً ولم ير بها أثراً (٣) الا الاماكن التى كانت تشد بها الدواب والحفر التى تحفر حول الخيام لئلا يصل

اليها الماء، وهى كالحوض فى الأرض الغليظة الصلبة المظلومة أى التى يحفر فيها حوض وهى لا تستحق ذلك. (٤) وهذا الحوض مستدير حول الخيمة وقد مسحته الخادمة بالمسحاة ولبدته تلبيداً حين كانت الارض ندية. (٥) وأزالت منه التراب ليجري فيه الماء إذا جاء السيل بغتة ورفعت جانبه الى الخيمة ونضد الثياب التى فيها لكى لا يصل الماء اليها. (٦) وقد أضحت هذه الدار خالية بعد ان ابتعد أهلها عنها وغيرها الدهر وأخفى عليها كما أخفى على لبد نسر لقمان المشهور الذى عز مئتى عام ولكنه لم يجد عن الموت مرداً (٧) ثم قال فاترك هذه الدار ووصفها إذ لا مرد لما حل بها وضع الرجل على ناقة شبيهة بالبعير لصلابة خفها وعظم فقرها (٨) وهى سمينة ممتلئة البدن لاسنانها صريف مثل صريف الحبل فى البكرة (٩) وقد فعل الشاعر ذلك وركب هذه الناقة وسار عليها حتى إذا زال النهار أى انتصف رآه تحته كالثور الوحشى المنفرد الذى توجس من الانس فزاد نشاطاً. ثم استطرد الى وصف هذا الثور الوحشى ففاق «لفنستون» و «سبيك» وغيرهما من رواد أفريقية وقال (١٠) أن هذا الثور من وحوش وجرة وهى فلاة اتساعها ستون ميلا وماؤها قليل ولذلك فبطنه طاو ثم

وصف شكله فقال أنه أبيض كسيف الصيقل المسلول وفى قوائمه نقط سود (١١) وقد أمطرت عليه السماء ليلا فى الفصل الذى تطلع فيه الجوزاء أي فصل الحر وكان مع المطر برد فاحتدت نفسه فيه وتضاعف حذره (١٢) ثم سمع صوت صائد معه كلاب فارتاع من ذلك وبات خائفاً قائماً على قوائمه (١٣) فأرسل الصائد عليه كلباً من كلابه واسمه هزان وأغراه بصيده وطعنه طعن المحارب الشجاع فوثب الكلب على الثور ووقع على رأسه حيث أراد الصائد يمسكه بعنقه حتى لا يعود له مناص (١٤) فشكه الثور بقرنه فى فريصته أي بين كتفه وخاصرته فنفذ القرن من الجهة الاخرى لحدته كأنه مبضع البيطار الذى ينزل به الحيوان إذا اعتراه داء العضد . (١٥) وخرج القرن من جنب الكلب الآخر كأنه السفود (أى « السيخ » الذى يشك به اللحم ليشوى) الذى استعمله الندماء ثم نسوه بجانب المفتأد أى موضع النار التى يشوى عليها اللحم . (١٦) ولكن الكلب ظل ينهش أعلى القرن وقد انقبض من شدة الألم وبقى متصلباً غير متعوج (١٧) ولما رأى الكلب الثانى واسمه واشق ما حل برفيقه وان لا سبيل إلى الدية ولا الى القصاص (١٨) قالت له النفس انى لا أرى طمعاً

بالثور بل أن مولاك نفسه قد لا يصيد هذا الثور ولا يسلم منه

(١٩) ولما انتهى النابغة من وصف هذه الناقة على ما تقدم من البيان قال ان هذه الناقة هى التى تبلغنى الملك النعمان الذى له فضل على الناس أقاربهم وأباعدهم وشبهه بالملك سليمان الحكيم واستطرد الى طلب العفو منه وقال فى وصف كرمه :

فما الفرات إذا جاشت غواربه
ترمى أواذيه العبرين بالزبد
يمده كل واد مزبد لجب
فيه حطام من الينبوت والخضد
يظل من خوفه الملاح معتصماً
بالخيزرانة بعد الأين والنجد
يوماً بأجود منه سيب نافلة
ولا يحول عطاء اليوم دون غد

ومعنى هذه الابيات الاربعة أن نهر الفرات إذا ثارت به العواصف وماجت مياهه والقت الزبد على ضفتيه وجرت إليه المياه من الأنهر الصغيرة والغدران التى تصب فيه حاملة ركاماً من نبات الخشخاش ونحوه حتى اضطر الملاح أن يتمسك بدفة السفينة

بعد أن أعياه العرق والكرب من شدة جريان الماء لايكون (أى الفرات) أجود من الملك النعمان وجوده اليوم لايمنع جوده غداً لغزارته وكونه سجية فيه

واليك مثلا آخر من قصيدة الشنفرى المعروفة بلامية العرب وهو قوله فى وصف الذئاب الجائعة :

١ واغدو على القوت الزهيد كما غدا
أزل تهاداه التآنف أطحل
٢ غدا طاويا يعارض الريح هافيا
نجوت بأذناب الشعاب ويعسل
٣ فلما لواه القوت من حيث أمه
دعا فاجابته نظائر نحل
٤ مهللة شيب الوجوه كأنها
قداح بكفى ياسر تتقلقل
٥ أو الخشرم المبعوث حثحث دبره
محابيض أرداهن سام معسل
٦ مهرته فوه كأن شدوقها
شقوق العصى كالحات وبسل

٧ فضج وضجت بالبراح كأنها
واياه نوح فوق علياء ثكل
٨ واغضى واغضت واقسى واقست به
مراميل عزاها وعزته مرمل
٩ شكا وشكت ثم ارعوى بعد وارعوت
وللصبر ان لم ينفع الشكو أجمل

ومعنى هذه الابيات (١) ان الشاعر قنوع من العيش يغدو على القوت الزهيد كما يغدو الذئب فى المفاوز المقفرة . واستطرد الى وصف هذا الذئب فقال (٢) أنه غدا طاوياً من الجوع يعارض الريح ويجوب أطراف الشعاب وهو يضرب فى عدوه ويهز رأسه (٣) فلما أخفق سعيه ولم يجد القوت حيث طلبه عوى فأجابته ذئاب أخرى جائعة مثله (٤) وهى ضامرة متقوسة الظهور من الجوع شيب الوجوه كانها السهام الصغيرة التى يقلبها بكفيه من يقسم لحم الجزور على ذوى الانصبة فى الميسر . (٥) أو كأنها النحل وقد طار من قفيره لان مشتار العسل حركه بالعيدان التى يطرد بها النحل ويشتار العسل . (٦) وهذه الذئاب واسعة الشدوق كالحة الوجوه شدوقها كشقوق العصى (٧) فلما رأى الذئب انها اجابت

عواءه ضج وضجت كانها واياه نساء نائحات لفقدهن أولادهن (٨) ثم رأى أن لا فائدة فى العواء والضجيج فاغضى وأغضت وتصبر وتصبرت وعزى بعضها بعضاً لأنها متساوية في الفاقة (٩) وشكا بعضها الى بعض ولما رأت أن لا نفع للشكوى نكصت على أعقابها ولسان حالها يقول الصبر أولى إذا لم تنفع الشكوى. ولقد وصف كثيرون من الكتاب ذئاب سيبيريا وتجمعها وتفرقها اذا تراكمت الثلوج وعضها الجوع ولكننا لم نر وصفها أبلغ من هذا الوصف مع ضيق مجال الشعر واتساع مجال النثر

أما المحدثون فقد اتبع أكثرهم خطة واحدة فى الغزل والمدح والرثاء فيبتدىء الشاعر منهم بوصف غادة فيشبه شعرها بالليل وجبينها بالصبح وحاجبها بالسيف وعينها بالنرجس ووجنتها بالورد وثغرها باللؤلؤ وريقها بالعسل وقوامها بالبان وينتقل الى الممدوح فيدعى أنه أسد في الشجاعة وحاتم فى الكرم وبحر فى الجود وانه جمع علوم الورى فى صدره ثم يدعو له بطول البقاء . واذا أراد الرثاء شكا من جور الدهر وانخداع الناس به ولامه على غدره بالميت ثم جعل يعدد مناقبه ويصفه بمثل الاوصاف المتقدمة ويحكم بان الجنة مأواه وان ملائكة العرش تهللت لمرآه وطالما

كانت تحسد الارض عليه. ولا مشاحة فى أن النابغين من الشعراء يخالفون هذه الخطة أو يتوسعون فيها ويضمنون أشعارهم حكماً رائعة وأوصافاً بليغة ونكتاً أدبية ولكن الصورة المتقدمة شاملة ما نظمه المحدثون والمولدون ولا عيب فيها من حيث هى بالذات لأن الغزل والنسيب والمدح والرثاء قد تكون بالغة أقصى درجات البلاغة بل العيب فى اتباع خطة واحدة والتقيد بها كأن مخيلة الشاعر عاجزة عن ابتكار المعانى والتوسع فى وصف الصور العقلية وما تقدم من أن المحدثين يصفون مالم يشاهدوه لا يطعن فى شعرهم لأن مزية الشعر فى وصف صور الخيال وإلا لما اعتبرت أشعار الضريرين الشهيرين ابى العلاء وملتون وانما الذي يلام المحدثون عليه تقيدهم بخطة واحدة وقلة بحثهم فى الطبيعة للاستعانة بها على تجريد الصور الخيالية

وما أصاب صناعة الشعر العربى يماثل ما أصاب صناعة النقش المصرى فان الرسوم والتماثيل التي نقشها المصريون الاولون فى الدول الست الأولى تماثل الحقيقة أتم المماثلة حتى أن من يدخل دار التحف المصرية فى الجيزة ويرى تمثال الخشب المعروف بشيخ البلد وصور البط والاوز بألوانها البهية يحكم ان المصريين الاولين

كانوا أبرع من نقش وصور لان التمثال المشار اليه يمثل رجلا مصريا قوي البنية مجدول العضل واسع المنكبين أصلت الجبين طلق المحيا عليه سيماء النباهة وعزة النفس وثبوت العزيمة. وصور البط والاوز تمثل أشكالها فى اوضاع مختلفة والذى نقشها وبرقشها نقل رسومها واشكالها واوضاعها عن الطبيعة وكان أميناً فى نقله لم يزد على ما تراه العين ولا نقص منه ولا غير فيه ولم يساعده الخيال الا على جمع كل الاوضاع المختلفة على نمط يسر الخواطر ويقر النواظر. ولكن هذه الصناعة لم تلبث حتى اتخذت لها انموذجاً تحتذيه وخطة لا تتعداها فترى التماثيل والصور والنقوش الباقية من عهد الدول التالية متشابهة متماثلة كأنها أفرغت فى قالب واحد وصور الآلهة والبشر متماثلة تمام التماثل فالآله أمن راو الملك ستي الاول ورعمسيس الثانى وصور البطالسة والقياصرة الذين حكموا مصر تكاد تكون واحدة وكذا صور الآلهة ايسس وصور نساء الفراعنة والبطالسة متماثلة أيضاً وقس على ذلك صور الحيوانات والنباتات وكل ما بقي من الآثار المصرية من عهد الدول الوسطى والمتأخرة ولذلك تأخرت صناعة النقش والرسم بعد الدولة السادسة لانه

ما من قيد يقيد العقل ويغل الايدى مثل التقليد الذى يطفىء نار القرائح ويقص جناحى الخيال .

هذا من قبيل شعراء العرب أما شعراء الاوربيين فالذى نعلمه من أمرهم أن فحولهم لم يتبعوا خطة التقليد بل ما زالوا الى عهدنا يطلقون العنان لجياد القرائح لتجول فى عالم الحقيقة وتغوص فى بحار المجاز تنتقى درر المعانى وتنظمها فى اسلاك البيان وتتخير من الحوادث والاحاديث مايهذب الاخلاق ويدمث الطباع ويغرى باتباع الفضائل واكتساب المحامد

وترى سلسلة الشعراء عندهم متصلة من هوميروس وفرجيل [١] وهوراس الى دانتى [٢] وتاسو [٣] واريوستو وشكسبير وملتون وتنيسن [٤] وكورنيل [٥] وراسين [٦] وبوالو [٧]

(١) اشهر شعراء اللاتين ولد سنة ٧٠ وتوفى سنة ١٩ ق . م .
(٢) هو شاعر ايطالى شهير ومؤلف (المضحكة الآلهية) ولد سنة ١٢٦٥ وتوفى سنة ١٣٢١ . (٣) شاعر ايطالى كبير ولد سنة ١٥٤٤ وتوفى سنة ١٥٩٥ . (٤) شاعر انكليزى معروف ولد سنة ١٨٠٩ وتوفى سنة ١٨٩٢ (٥) هو أبو التراجيديا الفرنسية شاعر فرنسى كبير ولد سنة ١٦٠٦ وتوفى سنة ١٦٨٤ . (٦) شاعر فرنسى شهير ولد سنة ١٦٣٩ وتوفي سنة ١٦٩٩ (٧) شاعر ونقاد فرنسى (١٦٣٦ — ١٧١١)

ولم تنقطع الا فى أيام التقليد وشأنها عند الأوربيين شأن صناعة النقش والتصوير عندهم فانهم لم يحتذوا فيهما خطة معلومة ولا سنة متبعة بل تابعوا الحقيقة وجاروا الطبيعة . وجهد ما فعلوه أنهم أفاضوا على تماثيلهم وصورهم من صور الكمال التى فى مخيلتهم حتى أنهم رقوا بعض تلك الصور والتماثيل الى رتبة الآلهة. والمشهور عندنا ان الشعر « ذريعة المتوسل ووسيلة المتوصل » وان الشعراء يتزلفون بشعرهم الى الامراء والاغنياء قصد نوالهم وهذا حط للشعر من مقامه وتحقير له واين ذلك من قول من قال فيه :

أرى الشعر يحيي الجود والباس بالذى
تبقيه أرواح له عطرات
وما المجد لولا الشعر الا معاهد
وما الناس إلا اعظم نخرات

بل أين ذلك من قول شيشرون الخطيب الرومانى حيث قال فى دفاعه عن ارشياس الشاعر اليونانى: « أليس هذا الرجل خليقاً لمحبتى واكرامى وبكل الوسائط التى استخدمتها للدفاع عنه فان يد الطبيعة تصنع الشاعر والروح الآلهى يوحي إليه ولقد أحسن شاعرنا أنيوس حيث قال : أن الشعراء من المقربين إلى

الآلهة لان الآلهة أعارتهم للبشر »

هذا وقد استشارنا بعض النابغين من شعراء عصرنا فى طريقة لفك الشعر العربى من ربقة القيود التي تقيد بها فاشرنا عليهم بترجمة أشعار هوميروس وملتون وغيرهما من فحول الشعراء فعملوا بمشورتنا فاذا اتيح لهم أن ينظموا هذه الاشعار ولا يضيعوا شيئاً من بلاغتها رأى فيها أدباؤنا ما يغير رأيهم فى الشعر والشعراء فيغادرون الطريقة التى اتبعوها حتى الآن ويتبعون طريقة الاوربيين وهى الطريقة التى جرى عليها شعراء الجاهلية على قلة بضاعتهم ونزارة معارفهم وشعراء الامم القديمة كالمصريين والهنود والفرس واليونان والرومان وبدونها لا يعد الشعر شعراً ولو كان «سور البلاغة ومعدن البراعة ومجال الجنان وسرح البيان وذريعة المتوسل ووسيلة المتوصل وذمام الغريب وحرمة الاديب » كما قال الناشىء[1]

(١) جاء فى (خلاصة اليومية) لعباس محمود العقاد بعنوان « الالياذة » مايأتي :

« اضاع البستاني اعواما فى تعريب الالياذة لوقضاها أو بعضاً منها فى تعريب نخبة من اسفار الحكمة الغربية لكان ذلك خيراً للعربية

وقرائها من نقل كل ملاحم الاقدمين اليها. نقل الينا تلك الملحمة الضخمة التى تشتم عنجيهات البدو وجلافات القبائل فى كل قصيدة من قصائدها ! على حين بدأ الاوربيون انفسهم يمجونها ويزهدون فيها. وما كانت تطرب اليها نفوسهم فى عهد من العهود ولكنهم يقلدون فى الاعجاب بها بعضهم بعضاً. فيكتب النقاد فى تقريظها ويترنم القراء باناشيدها وكلهم يظن ان غيره اعلم منه بسر ذلك الاعجاب المستولى على الجميع وكلهم فى الحقيقه سواء فى جهد ذلك السر. وماجعل للالياذة هذه القيمة بين كتب الأدب المعدودة فى لغات الغربيين الا انها الكتاب الوحيد الذى بقى لجامعات اوربا جيلا بعد جيل تدرس فيه البلاغة اليونانية وقواعد شعرها القديم. فكان يتلوها منهم كل كاتب قبل ان يكتب وكل شاعر قبل أن يشعر ويعتبرونها كما يعتبرون سفراً يدرس فى الجامعات ثم يتشدقون ويتفيهقون بها تفيهقاً عارف اللسان المجهول وقارئ الكتاب النادر. ولقد نقدت هذه القيمة بترجمتها الى اللغة العربية. فلم يبق فيها الا تلك السخافات والحماسيات التى لا اشبهها الا بوقائع سيف بن ذى يزن وابى زيد الهلالى مما يقرأه كل منا فى حداثته ولكن الوهم قد صيرنا لانجرأ على النطق باسمائها كما صيرهم الوهم يشيدون بذكر الياذتهم وينصبون ناظمها المسترفد ملكا على الشعراء » هذا ماقاله الأديب العقاد ولا نعلم رأى العلامة البستانى ناظم الالياذة أو مجلة المقتطف الشهيرة فى ذلك !

الشاعر

لجبران خليل جبران

جبران خليل جبران — الكاتب الخيالى العظيم وصاحب الطريقة المتبكرة فى كتابته، الشاعر والمصور مؤلف المؤلفات العديدة فى العربية والانكليزية التى تعد فى طليعة الكتب التى طورت الأدب العربى فى طوره العصرى الجديد كما ان لجبران الفضل فى تحرير القلم العربى من ربقة الأسر والتقليد فى الاسلوب والقيام على المبادئ الاجتماعية البالية . وقد تحداه فى اسلوبه الشيق كثير من الادباء المعاصرين ولم يأتوا بغير البضاعة المقلدة

ولد جبران سنة ١٨٨٣ فى بشرى من اعمال لبنان وترعرع فى شمالى لبنان ثم تتلمذ فى مدرسة الحكمة في بيروت ولم يلبث بعد أن غادر المدرسة ان هاجر الوطن الى باريس فاقام فيها بضعة اشهر ثم بارحها الى الولايات المتحدة فقطن بوسطن زمنا اشتغل فيه بالكتابة والتصوير . ثم عاد الى باريس سنة ١٩٠٨ لينهى فيها دروسه الفنية فى الشعر والتصوير وسائر الفنون الأدبية فظل فيها ثلاث سنوات حاز فى نهايتها شهادة الامتياز من كلية الفنون الفرنسية . وقبلت رسومه فى المعرض الأمى السنوى ودعى عضوا فى جمعية الفنون الافرنسية ونال

النابغة جبران خليل جبران

عضوية الشرف فى جمعية المصورين الانكليزيه ثم عاد الى الولايات المتحدة واتخذ نيويورك مقراً له . وهو اليوم أحد عمال (الرابطة القلمية) فيها ويزعم مذهب التجدد الادبى : ومن مؤلفاته المنشورة : (نبذة فى الموسيقى) (عرائس المروج) (الارواح المتمردة) (الاجنحة المتكسرة) (دمعة وابتسامة) (العواصف) (المواكب) (ما وراء الخيال) (فى مواكب الامم والشعوب) وله فى الانكليزية كتب عدة منها (المصطفى) و (المجنون) و (الرائد) وقد ترجمت بعض كتبه الى اللغات الاوربية والبرتغالية . كما ان له فى التصوير كتاب (عشرون رسما لجبران) ويعد جبران أحد النوابغ الذين يفخر بهم الشرق بوجه عام والعالم العربى بوجه خاص .

أنا غريب فى هذا العالم

أنا غريب وفى الغربة وحدة قاسية ووحشة موجعة ، غير أنها تجعلنى أن أفكر أبداً بوطن سحرى لا أعرفه ، وتملأ أحلامى بأشباح أرض قصية ما رأتها عينى

أنا غريب عن أهلى وخلانى ، فاذا ما لقيت واحداً منهم أقول فى ذاتى : « من هذا ، وكيف عرفته ، وأى ناموس يجمعنى به ولماذا أقترب منه واجالسه ؟ »

أنا غريب عن نفسى ، فاذا ما سمعت لساني متكلما تستغرب اذنى صوتى ، وقد أرى ذاتى الخفية ضاحكة ، باكية مستبسلة ، خائفة ، فيعجب كيانى بكيانى وتستفسر روحى روحى ، ولكننى أبقى مجهولاً ، مستتراً ، مكتنفاً بالضباب ، محجوباً بالسكوت .

أنا غريب عن جسدى ، وكلما وقفت أمام المرآة أرى فى وجهى مالا تشعر به نفسى ، وأجد فى عينى مالا تكنه أعماقى .

أسير فى شوارع المدينة فيتبعنى الفتيان صارخين : « هو ذا الاعمى فلنعطه عكازاً يتوكأ عليها » فأهرب منهم مسرعاً . ثم التقى بسرب من الصبايا فيتشبثن باذيالى قائلات : « هو أطرش كالصخر

فلنملأ اذنيه بأنغام الصبابة والغزل » فاتركهن راكضاً . ثم التقى بجماعة من الكهول فيقفون حولى قائلين : « هو أخرس كالقبر فتعالوا نقوم اعوجاج لسانه » فاغادرهم خائفاً . ثم التقى برهط من الشيوخ فيومئون نحوى بأصابع مرتعشة قائلين : « هو مجنون أضاع صوابه فى مسارح الجن والغيلان »

أنا غريب فى هذا العالم

أنا غريب وقد جبت مشارق الارض ومغاربها فلم أجد مسقط رأسى ولا لقيت من يعرفنى ولا من يسمع بي

استيقظ فى الصباح فاجدنى مسجوناً فى كهف مظلم تتدلى الافاعى من سقفه وتدب الحشرات فى جنبانه. ثم اخرج الى النور فيتبعنى خيال جسدى . أما خيالات نفسى فتسير أمامى الى حيث لا أدرى ، باحثة عن أمور لا أفهمها ، قابضة على أشياء لا حاجة لي بها . وعندما يجىء المساء أعود وأضطجع على فراشى المصنوع من ريش النعام وشوك القتاد فتراودنى أفكار غريبة وتتناوبنى أميال مزعجة مفرخة موجعة لذيذة ، ولما ينتصف الليل تدخل علي من شقوق الكهف أشباح الازمنة الغابرة وأرواح

الامم المنسية فاحدق بها وتحدق بى ، وأخاطبها مستفهماً فتجيبنى مبتسمة ثم أحاول القبض عليها فتتوارى مضمحلة كالدخان.

أنا غريب فى هذا العالم.

أنا غريب وليس فى الوجود من يعرف كلمة من لغة نفسى

أسير فى البرية الخالية فأرى السواقى تتصاعد متراكضة من أعماق الوادى إلى قمة الجبل وأرى الاشجار العارية تكتسى وتزهر وتثمر وتنثر أوراقها فى دقيقة واحدة . ثم تهبط أغصانها الى الحضيض وتتحول الى حياة رقطاء مرتعشة وأرى الاطيار تنتقل متصاعدة هابطة ، مغردة مولولة، ثم تقف وتفتح أجنحتها وتنقلب نساء عاريات ، محلولات الشعر ممدودات الاعناق ينظرن الي من وراء أجفان مكحولة بالعشق ويبتسمن لي بشفاه وردية مغموسة بالعسل ويمددن نحوى أيادين بيضاء ناعمة معطرة بالمر واللبان ، ثم ينتفضن ويختفين عن ناظرى ويضمحللن كالضباب، تاركات في الفضاء صدى ضحكهن منى .

أنا غريب فى هذا العالم

أنا شاعر أنظم ما تنثره الحياة وانثر ما تنظمه ، ولهذا انا غريب وسأبقى غريباً حتى تخطفنى المنايا وتحملنى الى وطنى

الشعر والشعراء

لجبران خليل جبران

لو تخيل الخليل [١] ان الأوزان التى نظم عقودها واحكم أوصالها ستصير مقياساً لفضلات القرائح وخيوطاً تعلق عليها أصداف الافكار لنثر تلك العقود وفصم عرى تلك الأوصال.

ولو تنبأ المتنبى وافترض الفارض [٢] ان ما كتباه سيصبح مورداً لافكار عقيمة ومقوداً لرؤوس مشاعير يومنا لهرقا المحابر فى محاجر النسيان وحطما الاقلام بايدى الاهمال.

ولو درت روح هوميروس وفرجيل واعمى المعرة وملتون

(١) هو ابو عبد الرحمن الخليل بن احمد البصرى الفراهيدى الازدى سيد أهل الأدب فى تصحيح القياس واستخراج مسائل النحو وتعليله. وواضع علم العروض. ومؤلف كتاب «العين» المعجم المشهور، وغيره توفى سنة ١٨٠ هـ. (٢) هو أبو حفص وابو القاسم عمر بن ابى حسن ينحو منحى طريقة الصوفية فى شعره ولد بالقاهرة سنة ٥٧٦ وتوفى بها سنة ٦٣٢.

أن الشعر المتجسم من النفس المجاورة لله سيحط رحاله فى منازل الاغبياء لبعدت تلك الروح عن ارضنا واختفت وراء السيارات .

ما انا من المتعنتين ، لـكن يعزعلي أن أرى لغة الارواح تتناقلها السنة الاغبياء وكوثر الآلهة يسيل على اقلام المدعين ولست منفرداً فى وهدة الاستياء بل رأيتنى واحدا من كثيرين نظروا الضفدع ينتفخ تمثلا بالجاموس

الشعر ياقوم روح مقدسة متجسمة من ابتسامة تحيي القلب أوتنهده تسرق من العين مدامعها . اشباح مكنها النفس وغذاؤها القلب ومشربها العواطف وان جاء الشعر على غير هذه الصورة فهو كمسيح كذاب نبذه أوق .

فيا الاهة الشعر — ياراتوا — اغتفرى ذنوب الألى يقتربون منك بثرثرة كلامهم ولا يعبدونك بشرف انفسهم وتخيلات أفكارهم .

ويا أرواح الشعراء الناظرة الينا من أعالى عالم الخلود ليس لنا عذر لتقدمنا من مذابح زينتموها بلآلىء أفكاركم وجواهر أنفسكم سوى أن عصرنا هـذا قد كثرت فيه صلصلة الحديد

وضجيج المعامل فجاء شعرنا ثقيلا ضخماً كالقطارات ومزعجاً كصفير البخار .

وانتم يا شعراء مصر والشام والعراق سامحونا فنحن فى العالم الجديد نركض وراء الماديات فالشعر عندنا صار مادة تتناقلها الايدى ولا تدرى بها النفوس .

الطبع والتقليد

فى الشعر العصرى (١)

لعباس محمود العقاد

عباس محمود العقاد — أديب فاضل من أدباء مصر العصريين وشاعر مجيد مبتكر . وقد اشتهر على الاكثر بنزوعه الى التجدد وعرف بوقوفه التام على روح الأدب . الف هو وزميله ابراهيم عبد القادر المازني كتاب (الديوان) — الذى ظهر الجزآن الاولان منه — فأظهر اطلاعهما الواسع ومعرفتهما بحقيقة الأدب وباعهما الطويل فى النقد وفنونه ولو خلا الكتاب من بعض التحامل والتعرض بالشخصيات لكان آية النقد العصرى وعد فتحا جديدا للأدب العربي فى هذا العصر الناهض . وللعقاد مؤلفات عدة بموضوعات متنوعة وديوانه (الذى صدر منه حتى كتابة هذه السطور ثلاثة اجزاء) يكشف عن شاعريته كما ان كتابه (خلاصة اليومية) يظهر مقدرته الفكرية وبعد نظره وحريته .

(١) من مقدمة الجزء الاول من ديوان المازنى (ابراهيم عبدالقادر)

حسب بعض الشعراء اليوم انه ليس على أحدهم ان أراد أن يكون شاعراً عصرياً إلا ان يرجع الى شعر العرب بالتحدى والمعارضة . فان كانت العرب تصف الابل والخيام والبقاع وصف هو البخار والمعاهد والامصار ، وان كانوا يشببون في اشعارهم بدعد ولبنى والرباب ، ذكر هو اسما من أسماء نساء اليوم ، ثم يحور من تشبيهاتهم ويغير من مجازاتهم بما يناسب هذا التحدى ، فيقال حينئذ ان الشاعر مبتدع عصرى ، وليس بمقلد قديم

وهذا حسبان خطأ . فما أبعد هذا الشعر عن الابتداع ؛ والاخلق به ان يسمى الابتداع التقليدى لانه ضرب من ضروب التقليد ، فلولا أن شاعراً سبق هؤلاء الشعراء لما استطاعوا ان يعارضوه وان شئت فارفع النموذج من امام اعينهم تقف الاقلام فى اياديهم ولا يخطون خطاً ، فلو ان الشاعر منهم كان نقاشاً لما عرف كيف يطلى جداره بالدهان الابيض مالم ير امامه جداراً اسود الدهان .

وليس المبتدع كمن يبنى له حوضاً تجاه ينابيع المطبوعين يرصفه بحجارتها وحصبائها ويملأه بطينها وماءها ثم يدعوه بغير اسمائها . ولكن المبتدع من يكون له ينبوع يستقى منه كما استقوا ،

ولا قبل بذلك إلا لمن كان له سائق من سليقة تهديه الى مواقع الماء، وبصر كبصر الهدهد يزعمون انه يرى مجارى الماء تحت أديم الأرض وهو طائر فى الهواء.

كان شعر العرب مطبوعاً لاتصنع فيه، وكانوا يصفون ما وصفوا فى أشعارهم، ويذكرون ماذكروا، لانهم لولم ينطقوا به شعراً، لجاشت به صدورهم زفيراً، وجرت به عيونهم دمعا، واشتغلت به أفئدتهم فكرا، وأمانحن فلا موضع لتلك الاشياء من أنفسنا. فهى لا تهتاجنا كما اهتاجتهم ولا تصيبنا كما اصابتهم وإذا سكتنا عن النظم فيها لا تخطر لنا الا كما تمر الذكرى بالذهن، والمرء إذا تذكر لا يقلد من يتذكرهم، ولكنه يتحدث بهم، ويصف ما عنده من الأسف عليهم، أو الشوق اليهم،

والشعر العصرى كهذا الشعر فى انه شعر الطبع وانه أثر من آثار روح العصر فى نفوس ابنائه، فمن كان يعيش بفكره ونفسه فى غير هـذا العصر، فما هو من ابنائه وليست خواطر نفسه من خواطره

تمر على صفحة الزمن عصور خالية، لاتسمع لها حساً ولا تختلج العين من جانبها بقبس. ويكاد يكون الفلك قد قذف بها

من جوفه ميتة ، فهى من لحدها في مهد ومن مهدها فى لحد .

هذه عصور لاترى لأحدها ملامح ينحاز بها عما قبله أو ما بعده ، وهى عصور الغفلة التى تعقب أدبار الدول ، تنعدم فيها ملكة الابتكار ، وينشر التقليد رواقه على كل مزاولات الحياة ، فلا ترى عالماً ولا أديباً ولا حاكما ولا تاجراً ولا صانعاً الا وهو مقلد فى عمله ، ويكل الناس أمرهم الى فئات تصوغ لهم الافكار والعقائد والاذواق وتخرجها اليهم متشابهة ، كما تخرج المعامل مصنوعاتها الى السراة من طراز واحد .

وقد أصاب الأدب العربى هذه الآفة ، فقتلت فيه روح البراعة والصدق ، وقصرته زمانا على التقليد والمحاكاة ، حتى لقد بلغ بهم الولوع بما سميناه الابتداع التقليدى . أنهم وصفوا الدمع الاحمر والدمع الاصفر والدمع الازرق والدمع الاخضر والدمع البنفسجى ، وحسبوا ذلك من بدائع الافتنان ، وانهم جاءوا بطائل كبير .

على هذه الوتيرة من الكذب فى الاحساس ، والتقارب في سياق النظم ومعانى الشعر ، كان غالب شعراء اليتيمة ، حتى

لتحسب الكتاب — لولا قليل من الشعر الجيد الحي فيه — ديواناً لشاعر واحد .

وأخذ ينقه الأدب من هذه الآفة منذ نحو العشرين سنة، أى حين بلغت دعوة الحرية الفكرية مسامع الشرقيين فراعوا الى أنفسهم ، يسألونها عن سالفهم ومؤتنفهم ، ويستفسرونها عن حياتهم ومماتهم ، كما يسأل الناشىء نفسه إذا وكل اليه أمره وانفصل عن رعاية أبيه أو وليه . وكانت علامة ذلك ان ظهر التفاوت فى الاساليب ، وانفرد كل كاتب أو شاعر بطريقة فى كتابته أو نظمه ، والتفاوت فى الاساليب دليل الاستقلال والاستقلال دليل الطبع والحياة ، وهل يتفق التشابه والتماثل إلا فيما له قوالب وانماط ؟؟ واين القوالب والانماط إلا فى صيغ الالفاظ وتراكيبها ؟؟

وكما يكون التفاوت فى الاساليب بين شعراء الامة دليلا على حياتها ، وتنبه الطباع في ابنائها ، يكون التفاوت فى شعر الشاعر دليلا أيضاً على حياته وطبعه . ولقد سمعت أديباً يعيب شاعرية المتنبي ويصغرها لبعد ما بين جيده ورديئه ، وهو الآية على شاعريته عندى ، ان لم تكن آية سواه ، لان الشاعر قد

يحكم قامه ، ويدعو الالفاظ فتسعفه ، ولكنه لا يحكم طبعه ، ولن يكون الطبع عند دعوته ، بل انما الانسان عند دعوة طبعه . وهو رهن بما توحى إليه سجيته .

ولسنا نعني بذلك ان كل شاعر له فى شعره الجيد والردىء ، هو شاعر مطبوع ، فان لكل ذهن خامد جلوة ، ولكل طبع بارد سورة ، والريشة الميتة قد ترفعها الريح إلى حيث تحوم أجنحة الكواسر ، وقد يسمد الطبع الكليل ، اذا استفزته العاطفة ، فيسترق السمع من منازل الالهام ، ثم لا يكاد يلتفت الى نفسه حتى يهوي الى مقره ، ويروقنى فى هذا المعنى قول لويس مترجم جيتى شاعر الالمان ، وذلك اذ يقول فى عرض كلامه عن رواية فوست : ربما كانت مقدرة العقل الكبير لا تظهر إلا فى مثل هذه الصغائر ، أما الكتاب الاصاغر فانهم يبالغون فى هذه الاغراض ، أو يقصرون عنها ، ولكنهم لا يعطونها حقها ، أنظر الى الاجسام فانها تضىء كلها على درجات مختلفة من الحرارة ، وكذلك صاحب العقل الخافت قد يأتى بالفلق ، وينطق بالحكمة ، وهو مضطرم النفس ، محتدم الطبع — ولكن من تلك الاجسام ما يعود الى المألوف من حاله فينم عن غلظه وكثافته ، والعقل

الخافت إذا فترت حرارته عاودته ضائته ، وفارقته تلك القوة التى أقتسرها على الخروج ضغط الافكار المزدحمة عليه ، ولذع العاطفة المتأججة فيه ، وفى ذلك مصداق المثل السائر القائل : ان الكبائر تظهرها الصغائر ، والريح إذا هبت على الماء تشابه القمر بالضحضاح حتى اذا استقرت الامواج رأينا قاع الضحضاح قريباً ، وعلمنا أن غور القمر أبعد مما يصله مسبارنا . . . »

وربما تشدد بعض النقاد فجعلوا شعور الشاعر بنفسه حدا بين الطبع والتكلف ، فاذا خيل للناقد وهو يقرأ القصيدة أنه نسى الشاعر ولا يذكر الا شعره ، فالشاعر مطبوع ، وان كان يلوح له وجه الشاعر من حين الى حين بين ابيات القصيدة ، فهو عنده متكلف صناع — ولست أنا ممن يميلون الى هذا الرأى ، لانه يخرج كثيراً من الشعراء المجيدين من عداد الشعراء المطبوعين ، ولا فرق عندى بين شاعر يشعر بنفسه فى كلامه ، وشاعر يغيب في عاطفته ، إلا كالفرق بين المليح المزهو بجماله والمليح الذى يوهمك كأنه قد نسى أنه جميل ، على أن لكل منهما جماله ، ونحن نعسيّون أن ننظر الى ذلك الشعر ، فان كان صادقاً مؤثراً ، فهو من شعر الطبع ، وإلا فهو من شعر التكلف ، وهو اذن لا بالمليح

المزهو ولا بالمليح الغافل عن جماله ، وانما هو دميم يتحالى بالطلاء والزينة .

ويختلف شعر الطبع فى لغة الامة بين عصر وعصر كما يختلف منهاجه فى العصر الواحد بين شاعر وشاعر ، وكما تختلف درجته من الاجادة فى شعر الشاعر الواحد بين قصيدة وقصيدة .

فالشعر العربى قد اتخذ له فى كل عصر طريقة تناسب روح ذلك العصر . وهذه الطريقة العصرية لا تشبه طريقة البداوة ولا هى فى شيء من طريقة الدولة العربية ولكنها طريقة يمليها عصر تغير فيه محل الانسان من بيئته ومجمعه . وخلقت فيه الطبيعة أمام عينه ثوباً بعد ثوب ، حتى وقفت بالمجسد بين يديه ، فظهر له ما كان خافياً ، وازداد توقه الى استطلاع ما لم يبد ، وكان فيما بدا له مقابح ومحاسن . كان سابق ظنه بها غير ما عاينه منها فلو ان شعراء المذهبات بعثوا اليوم من أرماسهم ، لما نظموا حرفاً واحداً من مذهباتهم ، ولكانوا فى المذهب العصرى أشد من أشد دعاتنا غلواً فى الدعوة اليه .

قلنا أن الشعر العربى نشأ منشأ جديداً من نحو العشرين سنة . ونقول انه كان نضالاً نزع فيه الظافر اسلاب المخذول .

ولكنه لبسها ، فكان ظافرهم ومخذولهم أقرب الناس زياً ، وأشبههم بزة ، ونحن اليوم غيرنا قبل عشرين سنة — لقد تبوأ منابر الأدب فئة لا عهد لهم بالجيل الماضى ، ونقلتهم التربية والمطالعة أجيالا بعد جيلهم ، فهم يشعرون شعور الشرق ، ويتمثلون العالم كما يتمثل الغربي ، وهذا مزاج أول ما ظهر من ثمراته ، أن نزعت الاقلام إلى الاستقلال ، ورفع غشاوة الرياء والتحرر من القيود الصناعية — هذا من جهة الاغراض والانساق ، وأما من جهة الروح والهوى ، فلا يعسر على الناقد البصير ، أن يلمح مسحة القطوب للحياة فى أسرة الشاعر العصري الحديث ، ويتفرس هذا القطوب ، حتى فى الابتسامة المستكرهة التى تتردد أحياناً بين شفتيه

وشرع الأدب العصرى الحديث من روح الاستقلال فى شعرائه ، أنهم رفعوه من مراغة الامتهان التى عفرت جبينه زمناً ، فلن تجد اليوم شاعراً حديثاً يهنىء بالمولود وما نفض يديه من تراب الميت ولن تراه يطرى من هو أول زاميه فى خلوته ، ويقذع فى هجو من يكبره فى سربرته ، ولا واقفاً على المرافىء يروع الذاهب ويستقبل الآيب ، وما بالقليل من هذه الروح الشماء

فى الادب ، لو أنها استطاعت أن تجهز على آداب المواربة والتزلف بيننا . أو تردها الى وراء الاستار ، بعد إذ كانت تنشد فى الاشعار وينادى بها فى ضحوة النهار .

ولا مكان للريب فى أن القيود الصناعية التى أشرنا اليها ، ستجرى عليها أحكام التغيير والتنقيح ، فان أوزاننا وقوافينا أضيق من أن تنفسح لاغراض شاعر تفتحت مغالق نفسه ، وقرأ الشعر الغربى ، فرأى كيف ترص أوزانهم بالاقاصيص المطولة والمقاصد المختلفة ، وكيف تلين فى أيديهم القوالب الشعرية ، فيودعونها ما لا قدرة لشاعر عربي على وضعه فى غير النثر ألا يرى القارىء كيف سهل على العامة نظم القصص المسهبة والملاحم الضافية الصعبة . فى قوافيهم المطلقة؟ ؟ ، وليت شعرى بم يفضل الشعر العامى الشعر الفصيح الا بمثل هذه المزية ؟ ؟

ولقد رأى القراء بالامس فى ديوان شكرى [1] مثلا من القوافى المرسلة والمزدوجة والمتقابلة وهم يقرأون اليوم فى ديوان

(١) هو عبد الرحمن شكرى أحد الشعراء العصريين فى مصر ومن مجددى معالم الادب العربى اليوم .

المازنى [١] مثلا من القافيتين المزدوجة والمتقابلة . ولا نقول أن هذا هو غاية المنظور من وراء تعديل الاوزان والقوافى وتنقيحها ولكنا نعده بمثابة تهيىء المكان لاستقبال المذهب الجديد ، إذليس بين الشعر العربى وبين التفرع والنماء الا هذا الحائل فاذا اتسعت القوافى لشتى المعانى والمقاصد ، وانفرج مجال القول ، بزغت المواهب الشعرية على اختلافها . ورأينا بيننا شعراء الرواية وشعراء الوصف ، وشعراء التمثيل ، ولا تطول نقرة الآذان من هذه القوافى ، لاسيما فى الشعر الذى يناجى الروح والخيال أكثر مما يخاطب الحس والآذان .

وما كانت العرب تنكر القافية المرسلة ، فقد كان شعراؤهم يتساهلون فى التزام القافية كما فى قول الشاعر :

الا هل ترى ان لم تكن أم مالك
بملك يدى أن الكفاء قليل
رأى من رفيقيه جفاء وغلظة
إذا قام يبتاع القلوص ذميم

(١) هو ابراهيم عبد القادر المازنى احد افاضل شعراء مصر العصريين ومن دعاة التجدد فى الأدب العربى.

فقال أقلاً واتركا الرحل انني
بمهلكة والعاقبات تدور
فبيناه يشرى رحله قال قائل
لمن جمل رخو الملاط نجيب

وكقول غيره :

بنات وطّاء على خد الليل
لا يشكين عملاً ماانقين

وقول الآخر :

جارية من ضبة بن أُد كأنها فى درعها المنعط الخ

وبعض هذه القوافى كما تراها، قريبة مخارج الروى ، وبعضها تتباعد مخارجه، ولكنهم كانوا على حالة من البداوة والفطرة لا تسمح لغير الشعر الغنائى [1] بالظهور والانتشار ، وكانوا لا لا يعانون مشقة فى صوغ هذه الاشعار فى قوالبهم ، فلم يلجأوا إلى اطلاق القافية ، ولا سيما فى شعر يعتمد فى تأثيره على زنته

(١) المقصود بالشعر الغنائي هو مايسميه الافرنج (Lyric Poetry) ولا يلزم من هذه التسمية أن يغنى « صاحب المقال »

الموسيقية، وجاء العروضيون فعدوا ذلك عيباً وسموه تارة بالاكفاء وتارة بالاجازة أو الاجارة لقلة ما وجدوا منه فى شعر العرب . فلما انتقلت اللغة العربية إلى أقوام سلائقهم وحالهم أميل الى ضروب الشعر الأخرى، اعتسروا القوافى على أداء أغراضهم ولم تشعر آذانهم بهذا الذى عده العروضيون عيباً فى القافية، فاحتملت لغتهم المحرفة وقوافيهم المتقاربة، ما لم تحتمله أوزان الجاهلية وقوافيها

على أن مراعاة القافية والنغمة الموسيقية، فى غير الشعر المعروف عند الافرنج بشعر الغناء فضول وتقيد لا فائدة منه، ولا بد ان ينقسم الشعر الى أقسام . يكون الشعر فى بعضها أكثر من الموسيقى ومن بقايا الموسيقى الأولى فى الشعر هذه القيود اللفظية، وقد ذهب سبنسر[1] فى مقاله عن الرقى إلى أن الشعر والموسيقى والرقص، كانت كلها أصلا واحداً ثم انشق كل منها فناً على حدته، ومن قوله فى ذلك : « ان الروى في الكلام والروى فى الصوت، والروي فى الحركة كانت فى مبدئها أجزاء من شىء واحد، ثم انشعبت واستقلت بعد توالي الزمن ولا تزال

(١) فيلسوف انكليزى كبير ولد سنة ١٨٢٠ وتوفى سنة ١٩٠٣ .

ثلاثتها مرتبطة عند بعض القبائل الوحشية ، فالرقص عند المتوحشين يصحبه دائماً غناء من نغم واحد ، وتصفيق بالايدى وقرع على الطبول ، فهناك حركات موزونة ، وكلمات موزونة وأنغام موزونة . . . . وفى الكتب العربية أنهم كانوا يرتلون القصيدة التى نظمها موسى بعد قهر المصريين ، وهم يرقصون على نقر الدفوف ، وكان الاسرائيليون يرقصون ويتغنون بالشعر فى وقت معاً عند الاحتفال بالعجل الذهبي . . . . على أن الشعر وان لم ينفصل بعد عن الموسيقى ، الا أنهما قد انفصل كلاهما عن الرقص ، فقد كانت قصائد الاغريق الدينية القديمة ترتل ولا تتلى تلاوة ، وكان ترتيل الشاعر مقروناً برقص السامعين ، فلما انقسم الشعر أخيراً الى شعر غنائي ، وشعر قصصى ، وأصبحوا يتلون الشعر القصصى ولا يرتلون إلا الشعر الغنائي ، ولد الشعر المحض وأصبح فناً مستقلا . . »

ونحن لانريد أن نفصل الشعر عن النغمة الموسيقية بتاتاً ، ولكنا نريد أن يكون نصيب الشعر المحض فى غير شعر الغناء ، أكبر من نصيب النغم ، وان نبقى أثر دقة الرجل — ونعنى به

القافية — فى الشعر الذى كانوا يدقون الارض بأرجلهم عند انشاده ، أى شعر النزوات النفسية ، والعواطف المهتاجة .

والآن وقد أتينا على طرف من رأينا فى تأثير العصر على انساق الشعر وأغراضه ، نرى من تمام الكلام أن نقول كلمة عن تأثيره فى روح الشعر ، ونفوس الشعراء :

ان كان هذا العصر قد هزّ رواكد النفوس وفتح أغلاقها كما قلنا . فلقد فتحها على ساحة من الألم تلفح المطل عليها بشواظها ، فلا يملك نفسه من التراجع حيناً ، والتوجع أحياناً ، وهو العصر طبيعته القلق والتردد ، بين ماض عتيق ومستقبل مريب ، وقد بعدت المسافة فيه بين اعتقاد الناس فيما يجب أن يكون ، وبين ماهو كائن ، فغشيتهم الغاشية ، ووجد كل ذى نظر فيما حوله عالماً غير الذى صورته لنفسه حداثة العصر وتقدمه ، والشاعر بجبلته أوسع من سائر الناس خيالاً ، فالمثل الأعلى أرفع فى ذهنه منه فى اذهان عامة الناس وهو ألطفهم حساً فألمه أشد من ألمهم ، وإنما يكون الألم على قدر بعد البون بين المنتظر وبين ما هو كائن ، فلاجرم ان كان الشاعر أفطن الناس الى النقص وأكثرهم سخطاً عليه ، ولا جرم ان كان ديوان شاعرنا على حد قوله :

كل بيت فى قرارته جثة خرساء مرنان
خارجاً من قلب قائله مثلماً يزفر بركان

أيقال أننا بالغنا إذا قلنا أننا فى عهد لا نشاهد فيه الا مسخاً فى الطبائع ، وارتكاساً فى الاخلاق ونفاقاً فى الاعمال والاقوال ..؟ الا والله، بل يقال أننا تغاضينا إذا لم نقل ذلك ، وما يبالى متحرج فى عهدنا أن يغمض عينيه ، ثم يمضى على رأسه فى الاسواق والنوادى والمجامع والمعابد ، فاى عاتق وقعت عليه يده ، فليسأله الا تعرف المعنى بهذه الابيات

يتلقاك بالطلاقة والبشر وفى قلبه قطوب العداء
كالسراب الرقراق يحسبه الظمآ ن ماء وما به من ماء
عاجز الرأى والمروءة والنفـ ـس ضئيل الآمال والاهواء
ألف الذلّ فاستنام إليه وتباهى به على الشرفاء
ينسج الزور والأباطيل نسجاً والاكاذيب ملجأ الضعفاء
مستميت الى المكاسب والربح دنىء الاسفاف والكبرياء
فاسق يظهر العفاف ويخفي تحته الخزى يا له من مراء
مظلم الحس والبصيرة كالتمـ ـثال خلو من الحيا والذكاء
قد زهاه الشموخ فاختال تيهاً ولوى شدقه على الخلصاء

فانه لا يخطىء مرة إلا أصاب ألفاً : فقد وصف المازنى فى هذه الابيات نموذج الرجل العصرى فلم ينس صفة من صفاته . وانَّى لرجل العصر أن يكون غير ذلك ، وهو يبصر غير ما يسمع ويسمع غير ما يعتقد ويعتقد غير ما يجرأ على الجهر به ، وذلك ديدن الناس فى كل زمان تحس فيه النفوس بالحاجة الى الانتقال فترسم مثال الكمال ، ثم تكر الى عالم الحقيقة فلا تقابل إلا النقص والقصور ، وأنها لتظل كذلك تتذبذب بين الباطن والظاهر — وهذا هو عين التصنع والرياء ، وان اشتد ، فقل الخبث والصفاقة والكبرياء .

فاذا رأيت شاعراً مطبوعاً فى أمثال هذه الفترات المشؤومة يبتهج ويضحك ، فاعلم أن بين جنبيه قلبا صدى ، من نار الألم أو حمأة الشهوات ، وإلا فهو رجل مقلد ينظم بلسانه ، ولا ينظم بوجدانه

ألا ترى كيف كان حال الأدب فى الفترة التى تقدمت الانقلاب الفرنسى ؟ ألا تراهم كيف لعبت الحيرة بعقولهم ؟ فمن داع يدعو الناس إلى الطبيعة ، ومن باحث يفكر فى خلق مجتمع جديد ، هذا ينحى على الدين وهذا يسب الحياة ويلعن الوجود ،

وذلك تهوله فوضى الاخلاق ، فيحسبها ضربة لا زب ، لا تنصلح ولا تتبدل فيقوم في جنون الدهشة والذهول يحسن للناس التهتك والاباحة، أرأيت كيف استحكمت السآمة بشار، توبريان[1] زعيم الأدب فى تلك الفترة فجعل يقول « لقد سئمت الحياة حتى قتلتنى السآمة ، فلاشىء مما يحفل به الناس يعنينى ، ولو أننى كنت راعياً أو ملكاً ، لما عرفت كيف أصنع بعصا الراعى ، أو بتاج الملك وما أظننى فى الحالتين الا كنت زاهداً فى المجد والعبقرية ملولاً من العمل والبطالة ، متبرماً بالنعمة والشقاء — لقد أمضى الناس فى أوربة واسأمتنى الطبيعة فى أميركا ، فليس فى هذه ولا فى تلك ، ملاذ يهش إليها قلبى ، وانى لسليم القلب ، طيب النحيزة ، ولكن بغير غبطة ، واخالنى لو خلقت مجرماً لكنت أكون كذلك بغير ندم ، فليتنى لم أولد ، ليت أن أسمى يقضى عليه النسيان فلا يذكر أبداً . . . »

وبعد فهل ينبغى أن يحمد الناس كل زمان رأوه ، وهل ثم ضرر عليهم فى الشكوى من بعض الازمنة والنقمة عليها ؟

كلا ؛ ليس فى الاستياء من الزمن السيء ضرر ، بل هذا

(١) كاتب فرنسى مجيد وشاعر بديع ولد سنة ١٧٦٨ وتوفى سنة ١٨٤٨

هو الواجب الذى لا ينبغى سواه ، وأولى ان يكون الضرر جد الضرر في الاطمئنان الى زمان تتأهب كل بواطنه للتحول والانتقال ،

وما أهون التعليل السلبى : لقد سهل على بعض الكاتبين أن يعللوا هذا التذمر فحسبوا أنهم ادركوا الغاية وأصابوا النتيجة.

نظروا الى السخط الفاشى بين طبقات الناس ، فلم يصعب عليهم أن يقولوا أنه عرض من أعراض الحياة فى المدن والحواضر.

وهذا صحيح وأى عجب فى ذلك ؟ ؟ إنما لحكمة كانت المدن مثار القلق والشكوى ، لأن المدنية رئيئة المدنية ، وحاملة أمانة الرقى الانسانى ، ولئن كان النجاج الاصوات بالشكوى فى هذه الايام أشد وأجهر منه فى الايام القديمة فذلك لأن الانتقال الوشيك ، أعظم من كل انتقال أحدثته الحياة المدنية الى يومنا هذا

ولو كان الناس كلهم على شاكلة الريفى فى سكينته وقنوعه لما بقى لهم بعد ان يفيض الماء ، ويسلم الجو ، وينجب الزرع ، مطلب فى الحياة ، وما برح اهل المدن بايديهم زمام العلم والصناعة والفنون ، والكفاح يدفعهم الى الحركة وطلب الانتقال

فتتقدم على أيديهم هـذه الفنون وتنشأ من تقبلهم المذاهب الاجتماعية المختلفة ، فترتقى حقوق الناس وواجباتهم ، وترتقى الحياة تبعا لارتقاء هذه الحقوق والواجبات ،وقد صدق لاندور حيث يقول على لسان بارو « أن القانعين يجلسون ساكتين فى أماكنهم ، وأما الساخطون الناقمون فهم الذين يجنى منهم العالم كل خير »

ونظر أولئك الكتاب هذه النظرة الى رجال العبقرية فى الازمان المتأخرة . فوجدوهم لا يسلم أحدهم من علة فى الجسم ، فظنوا أنهم قدوقعوا على السر ، وقالوا لو لم يكن هؤلاء العبقريون مرضى لما عمت فلسفة السخط ، كأنه ليس بين هذا العصر وبين ان يكون أقدم العصور أخلاقاً ، وأرغدها عيشا ،وانهانظاما ، الا ان يبرأ مئة رجل أو أكثر أو أقل ، من الداء !

بل لقد طاش بعضهم فسمى عبقرية هؤلاء العظماء ، مسخاً راقياً ، والحقهم بالممسوخين من زمن الطبائع ومرضى النفوس ، الذين يخرج من بينهم القتلة والسرقة والمخبولون ، ولو أنهم كانوا ألحن للغة الطبيعية ، لعرفوا أنها لا تجمع بين المرض والعبقرية

عبثا ، وان عظماء الامم لو سلموا من الأدواء والعلل ، لوقفت الانسانية اليوم عند حدود الآجام والكهوف .

ونحمد الله أن ليست عقول هؤلاء الكتاب فى رأس الطبيعة . فكانت تبدلنا من كل نبي وحكيم وشاعر مصارعاً مضبور الخلق ، عريض العنق ، ولا ريب أن هذا العمل أريح لها من عناء تركيب الامزجة وتقسيم المواهب على قدر وحساب

العبقرى رجل أريد به أن ينسى نفسه ليخلص نفعه لنوعه ، فلو أنه خلق مكين المرة قوى الأسر ، لصرفته دواعى اللحم والدم عن المضي لوجهته ، ولشغله ما يشغل سائر الناس من أمور المعاش والابناء عما خلق لاجله ولا بد أن تضعف غريزة حفظ الذات فيه لتقوى بازائها غريزته النوعية . ولن تضعف الغريزة الذاتية إلا بمرض فى الجسد — أرأيت رجلا معافى البدن ينسى نفسه ليعيش بعد موته فى ذاكرة نوعه ؟؟ أم أنت تراه قاصر الهمم على حياته لا يعنيه من الدنيا سواها ؟؟

وللنوع فرض عام يطلبه من جميع أفراده ، وهو التكاثر بالتوالد ، بيد أنه كلما سفل النوع وسفل الفرد كان التوالد أكثر

ويطرد هذا الامر فى الانسان ، فان أكثر الناس تولداً أعجزهم عن حفظ النوع بغير وسيلة التوالد ، وهم أحط الناس مدارك وعقولا ، ثم ينشأ في بعض الافراد قوى أدبية ينفعون بها النوع ، ويحفظونه من جهات شتى فتعدو هذه القوى على غريزة النسل ، حتى يبلغ الامر نهايته فى النابغة فيكون أنفع الناس لنوعه بقواه الادبية ، وأقلهم نفعاً له بنسله ولذلك لا يرغب النابغون فى الزواج ، وان تزوجوا لا يلدون وربما ولد لهم ولد ولكن لا يعيش أبناؤهم ، أو يعيشون ولكنهم يهملون فى الغالب تربيتهم وانباتهم ، وتلك لعمرى حكمة بالغة ، وسر دقيق من أسرار الاقتصاد الطبيعى فى تقسيم العمل .

ان كان للامة جهاز عصبى ، فان الشاعر العبقرى أدق هذه الاعصاب نسجاً ، وأسرع للمس تنبها ، ولا غنى لجسم الامة عن هذه الاعصاب المفرطة فى الاحساس ، لتزعج الامة لاخذ الحيطة بينما تجمد الاعصاب الصلبة فى صمم البلادة والأنانية

فلا ينظرن الذين ينفقون فلسفة الرضى عندنا إلى المسألة من جهة واحدة . ولا يقولن نحن فى عصر العمل ، فزخرفوا

لنا الحياة وشوقونا اليها ، كلا ! لسنا ياقوم فى عصر العمل ، فكم من عمل يدعو العاملين ولا يجيبونه ، وكم من عامل يفتأ يدعو العمل فلا يجيبه ، بل نحن فى عصر التردد والاستياء ، ولا بد لهذا الاستياء أن يأخذ مداه ، ويطلع على كل نقص فى احوالنا حتى اذا تمكن من النفوس حركها إلى العمل ، وعاد عليها العمل بالرضى ، فلا ينسى الناس يومئذ فضل شعر الضجر والاستياء .

(ثم نظر فى الديوان نظرة باحث مدقق وسبر غور معانيه فحللها تحليلا بديعاً)

أقوال وملاحظات فى الشعر

وقد قرأنا للاستاذ العقاد اقوالا وملاحظات ذات قيمة فى هذا الباب فى كتابه « خلاصة اليومية » فاحببنا أن نثبتها هنا لما فيها من النظرات الصائبة :

الشعر والالفاظ

الشعر صناعة توليد العواطف بواسطة الكلام . والشاعر هو كل عارف باساليب توليدها بهذه الواسطة ، يستخدم الالفاظ والقوالب والاستعارات التى تبعث توافى نفس القارئ مايقوم بخاطره — أى الشاعر — من الصور الذهنية . والالفاظ نوع من اختزال المعانى تشير الى مالايمكن وروده منها على اللسان أوهى رموز يقترن كل منها بخواطر وملابسات تتيقظ فى الذهن من طرق ذلك اللفظ ولايشترك فيها معه لفظ آخر وان ترادفا فى ظاهر المعنى فالمترادفات لاتتشابه فى المدلول تماماً . والكلمة فى لغة لاتفيد معنى مقابلتها فى لغة اخرى . فليست المعانى منطوية فى أحرف كلماتها ولكنها ترمز اليها ولا

مجرد النطق بكلمة يكفى لاستحضار معناها عند كل من يسمعها على السواء . فتختلف الكلمة الواحدة فى قوة استحضار المعنى باختلاف مدلولاتها وملابساتها عند السامعين والتفطن الى هذا الفرق الدقيق بين معانى الالفاظ والتلطف فى اداء كل منها فى موضعه يدخلان فى الملكة التي يحتاجها الشاعر ليكون شاعرا مجيداً ولابد لها من أن يكون للشاعر استعداد فطرى لتلقى العوارض والمؤثرات التي تقع تحت شواعره حتى يلم باسرار النفس وكيفية تطرق الاحساسات المختلفة اليها . وان يكون قد انطبع فى ذهنه نخبة من صور تلك الاحساسات ممثلة فى قوالب جماعة من فحول الشعراء ليعلم بالمقارنة بينها ايها احكم تمثيلا وأبلغ وقعا وأسرع توجها الى العاطفة المخاطبة له حتى يتسنى له ان ينقل مايشاء منها الى نفس غيره . ولا يحتاج الأمر فى الشعر الى الجلاء والابانة كما هو فى النثر فانه كما تقدم يقصد به التاثير ولا يقصد به الاقناع والعواطف قد تتأثر بالعبارة المفاجئة اشد من تاثرها بالعبارة ذات القضايا المرتبة والمعانى الجليلة . فقل ان ترى كبار الشعراء يتكلفون الشرح والتفصيل فيما يريدون الاعراب عنه كما يتكلفها المبتدئون منهم لأنهم اخبر بوسائل التأثير

واعرف بالالفاظ التى لها وقع ابلغ من غيرها على الاحساس .

الشاعر

أما الشاعر فاسمه بلغتنا يشير الى تعريفه ولعل معجما من معاجم اللغات لايتضمن اسما للشاعر ادل على مسماه من اسمه فى اللغة العربية

قد عرفنا أن وزن الاعاريض غير قرض الشعر ، ولكن من هو الشاعر ؟

هو المقصد الذى لا يعجز عن ترصيع قصائده بمايبهر ويخلب من الخواطر البراقة والمعانى الخطابية المتلألئة ؟

كلا ! هذا شاعر يذكرنى بصاحب ذوق مبهرج يريدان يزين غرفته بالرسوم فيرصص سجوفها وحوائطها بالاطارات والكفافات حتى لايبرز منها قرن أو تظهر فيها زاوية . أوبذاك المصور الذى يصبغ رسمه ببهى النقوش وبهيج الالوان يبهر بها أبصار الناظرين . أوبتلك القروية التى تحلى يديها فتدس عشرة أصابعها فى انا يبب من مختلف الخواتم والفصوص .

فليس الشاعر من يزن التفاعيل . ذلك نظم أو غير ناثر . وليس الشاعر بصاحب الكلام الفخم واللفظ الجزل ذلك ليس بشاعر أكثر مما هو كاتب أو خطيب . وليس الشاعر من يأتي برائع المجازات وبعيد التصورات . ذلك رجل ثاقب الذهن حديد الخيال

انما الشاعر من يشعر ويشعر

ولقد ضاع الشعر العربي بين قوم صرفوه فى تجنيس الالفاظ وقوم صرفوه فى تزويق المعانى . فما كان شعراً بالمعنى الحقيقي الا فى أيام الجاهليين والمخضرمين على ضيق دائرة المعانى عندهم وسيعود كذلك فى هذه الايام على يد أفاضل شعراء العصر

مستقبل الشعر

الشعر يخالف العلم ولكنه لا يناقضه إلا كما يناقض الطب الهندسة وتناقض الكيمياء الطبيعة .

والرجل الراقى يفترق عن المنحط بكيفية التخيل لا بكميته فالاول مرتب الخيال لطيفه والثانى مشوش الخيال كثيفه . فالعالم لا ينقص خيالا كلما ازداد علما

فاذا تنبأ علماء العصر فليتنبأوا بتحسن الشعر وارتقائه لا بحوله وامحائه.

بماذا يشقى الشعراء

أصحاب القرائح الشعرية لا يتمتعون بالحياة الحقيقية كبقية الناس فان حياتهم كلها ذاهبة بين أمل فى المستقبل أو ذكرى للماضى وقل أن تستقر بهم نفوسهم فى الحاضر الراهن لانه دائماً على غير ما يشتهون. والشاعر مكتوب عليه الشقاء مادام مطبوعاً على مواهب الشعراء. فهو حاد الخيال تصور له قريحته العالم حافلا باللذة والنعيم مترعاً بالصفو ودواعى الهناء مما لا يصدقه الواقع، وتريه الناس على صورة من خلوص الضمائر وصفاء السرائر وطهارة الاخلاق تبرهن المعاشرة على خلافها. وهو لطيف الاحساس دقيق الشعور يوجعه ما لا يكاد يحس به غيره وتفعل فى نفسه الوخزة الهينة ما لا تفعله الطعنة القاسية فى نفس غيره وهو فاتر الهمة. ميال بطبيعته الى الدعة والاستسلام محروم من العزيمة الصارمة التي تمكنه من تحقيق أحلامه العديدة وادراك آماله البعيدة وهذا من أشد ضروب الشقاء كما قال شاعر منهم :

وأتعب خلق الله من بات آملا
واقصر عما تشتهي النفس نائله

وهو سليم الطوية، طيب القلب ينطلى عليه خداع الناس وختلهم وتغره تمويهاتهم وبهتانهم فيركن اليهم ثم لا يلبث أن تكشف منهم الأيام ما يخلف ظنه ويخيب ثقته. وهو عجول كالصبي تتحكم فيه احساساته الوقتية كانه الصائم بانتظار الافطار سرعان ما تبدو له النعمة بعد ضنك فينغمس فيها غير حاسب للعاقبة حساباً أو مبق لغده بقية. فاذا ولت أيام الرخاء وجاءت بعدها أيام الشدة كان ذلك أدعى إلى طول حسرته وتنغيص عيشه وهو سريع التقلب كثير الضجر لا يألف البقاء على حال واحد فلا يصبر على الشظف وهو يعرف الترف ولا يرتاح للفقر وهو يفهم ما هو الغنى — فبغير هذه الاطوار — التي هي من مستلزمات سرعة الخاطر وهو من مستلزمات سليقة الشعر — لا يكون شاعراً مطبوعاً. وبها لا يكون سعيداً إلا أن الطبيعة التي سلطت عليه كل هذا الشقاء لم تحرمه مما يعينه عليه. فكما أن خياله يمنيه باللذة الوهمية كذلك يخفف عنه الألم الواقع وكما أنه شديد الاحساس بالحزن كذلك هو شديد الاحساس بالسرور

ولئن كان محروماً من جمع الاموال وتأثل القصارات واقتناء القصور والضياع فان له نوعاً من الارتفاق في كل شيء يراه. قال اديسون فى رسالته عن الخيال : —

« ربما أحس مثل هذا الرجل فى مشاهدة المروج والبساتين بارتياح أكبر مما يجده بعض الناس لامتلاكها فكأن ذوقه الدقيق يخوله نوعا من الامتلاك فى كل ما يقع تحت نظره ويجعل أبسط ما فى الطبيعة وأبعد مناظرها عن الصقل والتهذيب تشترك فى ترويح نفسه وتطييب خاطره . وكأنه ينظر الى هذا العالم على نور غير نور الشمس فيكشف منه غير ما يكشفه ذلك النور من ذخائر تحجب نفسها عن اكثر من تراهم من الناظرين .

التشبيه الشعرى

ملكة التشبيه تقوى حيث يتفق دائرة الاشياء فان المتكلم يحاول أن يقرب الى سامعه مالا يعرفه وهو كثير بتشبيهه بشيء مما يعرفه وهو قليل . ومن ثم كان أهل البدو والريف أقدر على

التشبيه من الحضريين وسكان الامصار . ولقد كان الشاعر دائماً أسبق من العالم في التاريخ فان الانسان يحس أولاً ثم يفتكر فتسنخو القرائح فى عهد البداوة وينبغ الشعراء فى الانحاء التى لم يستبحر فيها العمران أكثر مما ينبغون فى غيرها .

الشعر والشعراء

لميخائيل نعيمه

ميخائيل نعيمه — مستشار الرابطة القلمية فى نيويورك — : أحد مجدّدى الادب العربى فى الاندلس الجديدة — امركا — كاتب نقادة وشاعر بديع المعانى . ولد فى بسكنتا بلبنان وتلقى دروسه الابتدائية فى مدرسة روسية هناك ثم انتقل منها الى مدرسة روسية ثانية فى الناصرة . وسافر بعدها الى مدينة بلتافا فى روسية لاكمال دروسه فيها . وغب أن أنهى دروسه غادرها الى اميركا ودرس الحقوق فى جامعة واشنطن ونال شهادتها فى الشريعة سنة ١٩١٦ .

ومقالات نعيمة اليوم فى جريدة (السائح) وغيرها من جرائد المجهر ومجلات البلاد العربية تنم عن نفس مطبوعة على الأدب وروح ناقد عصرى يرجى على يده خدمة كبرى لأدب الضاد ولو أوتى متانة وبلاغة عربيتين بقدر ما أوتى من هوية الفكر ، وشدة العارضة ، وطول الباع فى الفنون الأدبية لكان فى طليعة أدباء العرب العصريين وحامل لواء كتابهم الناقدين .

ماهو الشعر ومن هو الشاعر

كانا يتكلم عن الشعر . بعضنا يؤلهه ، والآخر يعشقه ، والثالث يقرضه ، والرابع يقتات ويتنفس به . هـذا يشحذ ذاكرته بالمعلقات والموشحات والخاليات واللاميات ، يرددها فى وحدته ويتلوها على مسمع أصحابه . وذاك يكتب القصيدة بعد القصيدة ويستعد لأن ينشر درر أفكاره فى « ديوان » ولا ديوان أبى الطيب . والآخر ، الذى لم يعلمه أبواه « ألف . باء » يصنف على المغنى والقرادى والمرصود . أو يتغنى بذاك « الموال » أو هذا البيت من العتابا . كانا يعشق الشعر — فصيحاً كان أو عامياً — ولا بدع فنحن من سلالة قوم « هم . هم إذا مات منهم شاعر قام شاعر »

كانا يتكلم عن الشعر كاننا نعرف ماهو الشعر كما نعرف ماهو الخبز والماء والثوم والبصل . ولو اجتمعت زمرة من عشاق الشعر بيننا لتتحدث عن الشعر لوجدتها مبلبلة الالسن . هذا يعنى بالشعر كلاماً موزوناً مقفى وذاك بيتاً واحداً من القصيد ، والآخر

لا يحسب شعراً كل ما يقدر القارىء على فهمه دون أن يلجأ إلى القاموس .

ان جهلنا معنى الشعر الحقيقى ومنزلته فى عالم الأدب قد أوصلنا إلى مانحن فيه الآن من كثرة « النظامين » وقلة الشعراء ، وغنانا بالقصائد وفقرنا بالشعر . لذلك سأحاول هنا أن آتى على بعض ما قاله أكبر شعراء الغرب وناقديه فى تعريف الشعر تاركاً للقارىء أن يقابل بين هذا التعريف وذاك فيختار ما يوافق ذوقه وادراكه وميوله .

« اللورد مكولى » فى مقالته عن ملتن يعرف الشعر هكذا : « نحن نعنى بالشعر فن استعمال الكلمات بطريقة تحدث ايهاماً فى المخيلة » لكن مكولى لم يكن شاعراً . فلنسمع ما يقوله الشاعر عن فنه . « شلى » يخبرنا أن الشعر هو « سجل أسعد دقائق فى حياة اسمى العقول وأسعدها » كذلك . « الشعر مرآة ترينا القبيح والمعوج جميلاً متناسباً . والقصيدة هى صورة الحياة بعينها معبر عنها بحقائق أبدية » وأيضاً : « الشعر يرفع النقاب عن جمال العالم الخفى ويجعل الاشياء المألوفة أن تظهر كأنها غير مألوفة » وماثيو أرنولد ، يرى فى الشعر مزية

جديدة ويعرفه هكذا « الشعر هو كمال اللغة البشرية ، فيه يقترب الانسان من الحق ويتجاسر أن يفوه به » أما كولردج فيرى فى الشعر « انتقاء أجمل الكلمات وتنسيقها أحسن تنسيق » و« جونسون » يدعو الشعر « اختراعاً ». وسيموينديس اليونانى يعرف الشعر « كصورة ناطقة » و « فالته » يسميه « فنا وضعيا مادته اللغة » . ولكن ملتن يذكرنا ان « القصيدة الحقيقية هى تمثال مركب من أحسن وأشرف مافى العالم » وبيلنسكى — شيخ الناقدين الروسيين — يعرف الشعر « كدقات نبض الحياة العالمية ودمها ونارها ونورها وشمسها » وأيضاً « كجوهر الحياة بل الحياة نفسها » .

والآن لو ألقينا نظرة سطحية على هذه التعاريف لوجدناها ، مع كل مافيها من الاختلاف الظاهر في التعبير ، تدور حول نقطتين جوهريتين ، قسم منها ينظر الى الشعر من جهة تركيبه وتنسيق عباراته وقوافيه واوزانه . والآخر يرى فى الشعر قوة حيوية ، قوة مبدعة ، قوة مندفعة دائماً الى الأمام ، والشعر فى الحقيقة ليس الأول وحده ولا الثانى فقط . بل هو كلاهما. الشعر هو غلبة النور على الظلمة ، والحق على الباطل . هو ترنيمة البلبل

ونوح الورق وخرير الجدول وقصف الرعد . هو ابتسامة الطفل ودمعة الثكلى . وتورد وجنة العذراء، وتجعد وجه الشيخ . هو جمال البقاء وبقاء الجمال . الشعر — لذة التمتع بالحياة أو الرعشة أمام وجه الموت . هو الحب والبغض والنعيم والشقاء . هو صرخة البائس وقهقهة السكران ولهفة الضعيف وعجب القوى . الشعر — ميل جارف وحنين دائم الى أرض لم نعرفها ولن نعرفها . هو انجذاب أبدي لمعانقة الكون بأسره والاتحاد مع كل مافى الكون من جمال ونبات وحيوان . هو الذات الروحية تتمدد حتى تلامس اطرافها اطراف الذات العالمية . وبالاجمال ، فالشعر هو الحياة باكية وضاحكة ، وناطقة وصامتة ومولولة ومهللة . وشاكية ومسبحة ومقبلة ومدبرة .

الشعر رافق الانسان من أول نشأته وتدرج معه من مهد حياته حتى ساعته الحاضرة . من الهمجية الى البربرية الى الحضارة الى مدنية اليوم تمشت الانسانية والشعر سميرها ومعزيها ومشجعها ومقويها . رافقها ويرافقها فى الحل والترحال ، والعمل والبطالة ، والبؤس والرخاء ، والحرب والسلم والوفرة والقلة ، تعرفه ابرة الخياطة ومطرقة الحداد وزاوية البناء ومنجل الحاصد ومحراث

المزارع . تعرفه خلوات النساك وقصور الملوك واكواخ الفقراء. تعرفه القلوب المنكسرة المجردة من افراح هذه الدنيا ،والقلوب المفعمة بملذات العالم وشهواته : تعرفه روح العذراء وروح المومسة . تعرفه العيون الدامعة والعيون الضاحكة والوجوه الشاحبة والوجوه الباسمة ،اعراسنا ليست كاملة الابه ، وامواتنا لايلحدون الابه . ترنيمة واحدة ترسل الجندى الى محافر الفناء كآل عرس . ونشيد واحد يخفف على النوتى حربه مع اللجة المزمجرة والامواج المتطاحنة . « موال » لاندرى فى قلب من اختمر ولسان من نطق به أولا يردده اباؤنا ونلحنه نحن بعد مئات من السنين وبيت من «العتابا» بليت عظام قائله من اجيال يخترق سكينة وحدتنا ويحرك السنتنا فتخفق قلوبنا اما حزنا واما فرحا . ويختلس من اعيننا دمعة أودموعا أو يبسط على أوجهنا ابتسامة اللذة والسعادة . قصيدة انشأها منذ عشرات من القرون بدوى يدعى امرؤ القيس أو عنترة أو المهلهل أو قيس العامرى نطالعها اليوم فنعجب بها ونطرب وتهتز عواطفنا . نحفظ ابياتا مختلفة من قصائد مختلفة ونرددها بين الآونة والاخرى

كانها من بنات افكارنا أو مستودعات قلوبنا . نسعى وراء غاية ما ، ولا ننالها فننشد :

ما كل مايتمنى المرء يدركه
تجرى الرياح بما لاتشتهى السفن

أو نصادف فى الطريق صديقا سود اليأس قلبه و بدل النور فى عينه ظلاما ، خانه دهره فاصبح يمقت يومه ويخاف غده فنعزيه بقولنا :

دع التقادير تجرى فى اعنتها ولاتبيتن الا خالى البال
مابين طرفة عين وانتباهتها يغير الله من حال الى حال

أو نسمع غنيا يفاخر باجداده واجداد أجداده فنذكره بقول الشاعر :

لاتقل أصلى وفصلي أبدا انما أصل الفتى ماقد حصل

ولو وقفنا لتعدد الابيات التى تناقلتها الالسن فاصبحت جزءاً من حياة الشعب اليومية لضاق بنا المقام.

ولماذا نردد هذا البيت أو تلك القصيدة أو ذاك « الموال» ونترك جبلا من القصائد التى لو قرأناها مرة لشكرنا ربنا على نجاتنا بالسلامة ؟

لان هذه الابيات والقصائد و « الموالات » اما تفسرلنا الحياة بتعبيرها عن حالات نفسية نشعر بها ونعجز عن سكبها فى قالب من الكلام . واما تنقش في مخيلتنا صورة نحب أن نتمتع بجمالها كما نحب أن ننظر الى وجه جميل وبدر تام وشمس تغرب وزهرة فى المرج تنحنى من مرور النسيم . نحب كذلك موسيقى اللفظ وسلامة التركيب وفصاحة التعبير كما نحب أن نصغى الى تموجات الاثير التى ترسلها أو تار كمنجة أو يلامسها القوس من يد استاذ ماهر . كلنا — لأسف الكثيرين بيننا — لم نخلق شعراء ولم نعط موهبة ترجمة القلوب والارواح والطبيعة . لذلك كثيراً ما نضطر من ان نعبر عن عواطفنا وافكارنا واحساساتنا بألسنة الغير . كلنا السنا موسيقيين ومصورين لذلك نضطر من وقت إلى آخر أن ندع الآخرين يقومون بسد حاجاتنا الموسيقية والفنية أجمالا — إذا كنا نشعر بمثل هذه الحاجات على الاطلاق .

عبثاً حاول تولستوى وسواه أن يحطوا من مقام الشعر وينزلوه من مملكته الالهية الى مملكة النسيان والخمول . عبثاً نددوا به فعظموا آفاته وصغروا محاسنه ونهوا عن صرف الوقت فى قرضه

ما دام الانسان انسانا ، مادام فيه ميل فطرى الى الغناء ان كان فى الحزن أو الطرب ، وما دامت اللغة واسطة لتصوير أفكاره والتعبير عن عواطفه وآماله ، فسيبقى الشعر حاجة من حاجاته الروحية . لانه فى الشعر يجسم أحلامه عن الجمال والعدل والحق والخير . وفيه يرسم الحياة التى تعشقها روحه ولا تراها عيناه ولا تسمعها اذناه حواليه بين أقذار العالم ودأبه اليومى وهمومه الصغيرة ومشاكله الكبيرة

إذن — تسألونى — هل الشعر خيال فقط وتصوير ماليس كائناً كأنه كائن ؟

وأنا أسألكم بدورى — ما هو الفرق بين الحقيقة والخيال وهل من حد فاصل بينهما ؟ أنتم واقفون على ربوة تشرف على البحر ، تراقبون من هناك كيف تبتلع الامواج سلكاً بعد سلك من أشعة الشمس المنحدرة . وبينكم وبين البحر غابة محدودة الاطراف من الصنوبر والارز والسنديان . فى أسفل الربوة واذ تراكمت فيه الصخور بعضها فوق بعض . تجرى بينها مدمدمة مياه جدول صغير . وفى نهر الذهب المكون من أشعة الشمس المتلاشية ترون باخرة يتصاعد منها عمود من الدخان الى قلب

الفضاء . الشمس والبحر والغابة والوادى والباخرة قد اصطفت فى مخيلتكم بهيئة صورة متناسبة الألوان والخطوط . قاشها الافق وأطارها الفضاء . الصورة تسحركم بتناسبها ودقة ترتيبها ودهنها وتناسب النور والظل فيها . أهى حقيقة أم خيال ؟ إذا قلتم حقيقة فاسمحوا لى أن أذكركم بالافعى التى التفت على صخرة بالقرب منكم وقد أمسكت بين فكيها ضبا تحاول ان تزدرده عشاء يومها . أو بالثعلب الذى انزوى بين الصخور القريبة منكم ودمه يسيل من رصاصة أصابته من يد الصياد . أوبالديدان التى تتململ فى برك الماء المنتنة فى الوادى . هل عددتم الاشجار فى الغابة وميزتم الارز من الصنوبر والسنديان والبلوط ؟ هل رأيتم العوسج الملتف على جذوع هـذه الاشجار ؟ وبالاجمال هل رأيتم كلما مرت أعينكم فوقه من رأس الرابية الى خط الافق وجعلتموه جزءاً من الصورة التى تتمتعون بجمالها ؟ كلا ولماذا ؟ . أليست كل هـذه التفاصيل جزءاً من الحقيقة التى امامكم والتى تتمكنون من رؤيتها لو شئتم ؟ — نعم . ولـكن صورتكم كاملة بدونها ، وجمالها فى أنها مركبة من جمال المجموع لا تفاصيل المفرد

أهى خيال أم وهم أزله

كلا فليست وهماً ولا خيالاً بل حقيقة محسوسة . أنتم لم تبدعوا الربوة ولا الغابة . ولا اختلقتم البحر ولا الشمس ولا الفضاء ولا الجدول . كل ذلك رأيتموه وشعرتم بوجوده . ولكنكم قد قابلتم وميزتم ونبذتم وأخرتم ثم رتبتم ما اخترتموه فى نسبة معلومة كانت نتيجتها الصورة التى رسمتها لكم المخيلة . جرى ذلك كله وانتم لم تغيروا حقيقة الموجودات لم « تخلقوا » شيئاً إنما أخذتم ما وجدتموه فى الطبيعة فطرحتم منه وزدتم عليه . وبدلتم فى ترتيبه حتى حصلتم على ما طلبته واحبته أنفسكم .

وهكذا يفعل الشاعر . إذا سمعتموه يتغزل بجيل ذهبى . بجيل لا أثر فيه للظلم والبغض والفقر والحسد والنزاع والموت . بجيل يسود فيه الحب والعدل والاخاء والمساواة وهلم جرا فلا تنعتوه بالجنون والكذب والوهم هو لم يخلق الحب ولم يوجد العدل ولا سبب الفقر ولا قال للموت كن فكان . هو وجد هذه الصفات والاحوال فى العالم عند زيارته هذا العالم . لكن روحه التى تعشق الجميل وتنفر من القبيح قد وضعت هذه الصفات فى نسبة جديدة غير التى نراها سائدة فى حياتنا اليومية وتغيير النسبة هو

اختلاق الشاعر الذى ندعوه خيالاً لكن خيال الشاعر حقيقته . والشاعر الذى يستحق أن يدعى شاعراً لا يكتب ولا يصف الا ماتراه عينه الروحية ويختمر به قلبه حتى يصبح حقيقة راهنة فى حياته ولو كانت عينه المادية احياناً قاصرة عن رؤيته . ذاك لا يعنى ان الشاعر يقدر أن يدعو الاسود أبيض والاحمر أصفر — أى ان يعرى الاشياء الحقيقية عن مميزاتها الطبيعية ويعطيها صفات من عنده داعياً ذاك « خيالا » . كلا . وهذا كل الفرق بين الشاعر والشعرور الشاعر لا يصف الا ما يدركه بحواسه الجسدية أو يلامسه بروحه. لسانه يتكلم من فضلة قلبه . أما الشعرور فيحاول أن يقنعنا أنه حلم أحلاماً نحن نعلم علم اليقين أنها لم تمر له برأس لا فى النوم ولا فى اليقظة . ويصف لنا عواطف لم يشعر بمثلها لا بشر ولا جن ولا ملاك من أول وجود هذا العالم حتى اليوم . لذلك تهزنا أشعار الاول فنحفظها ونرددها وتضحكنا « قصائد » الثانى فنضرب بها عرض الحائط .

وما هى الغاية من الشعر ؟

قوم يقولون أن غاية الشعر محصورة فيه ولا يجب أن تتعداه (الفن لأجل الفن) وآخرون أن الشعر يجب أن يكون خادما

لحاجات الانسانية وانه زخرفة لا ثمن لها اذا قصر عن هذه المهمة . ولهذين المذهبين تاريخ طويل لا نقدر ان نأتي به هنا . ولا غاية لنا أن نبحث فى حسنات كل منهما وسيئاته . انما نكتفى أن نقول أن الشاعر لا يجب أن يكون عبد زمانه ورهين إرادة قومه . ينظم ما يطلبون منه فقط ويفوه بما يروق لهم سماعه . واذا كان هذا ما يعنيه أصحاب المذهب الاول فلا شك أنهم مصيبون . لكننا نعتقد فى الوقت نفسه أن الشاعر لا يجب ان يطبق عينيه ويصم أذنيه عن حاجات الحياة وينظم ما توحيه اليه نفسه فقط سواء كان لخير العالم أو لويله . وما دام الشاعر يستمد غذاء لقريحته من الحياة فهو لا يقدر — حتى ولو حاول ذلك — الا أن يعكس أشعة تلك الحياة في أشعاره فيندد هنا ويمدح هناك ويكرز هنالك . لذلك يقال ان الشاعر ابن زمانه . وذاك صحيح فى أكثر الأحوال ان لم يكن فى كلها .

والآن بعد ان بحثنا ،ولو سطحياً في الشعر ، لنقف ونسأل

من هو الشاعر

الشاعر نبي وفيلسوف ومصور وموسيقى وكاهن . نبي

لانه يرى بعينيه الروحية مالا يراه كل بشر، ومصور — لانه يقدر أن يسكب ما يراه ويسمعه فى قوالب جميلة من صور الكلام. وموسيقى لانه يسمع أصواتاً متوازية حيث لا نسمع نحن سوى هدير وجعجعة . العالم كله عنده ليس سوى آلة موسيقية عظيمة تنقر على أوتارها أصابع الجمال وتنقل ألحانها نسمات الحكمة الابدية . هو يسمع موسيقى في ترنيمة العصفور وولولة العاصفة، وزئير اللجة وخرير الساقية ، ولثغ الطفل وهذيان الشيخ ، فالحياة كلها عنده ليست سوى ترنيمة — محزنة أو مطربة — يسمعها كيفما انقلب لذلك يعبر عنها بعبارات موزونة رنانة الوزن والتناسب فى الطبيعة اخوان لا ينفصلان وبغيرهما « لم يكن شيء مما لو كون » والشاعر الذى تعانق روحه روح الكون يدرك هذه الحقيقة أكثر من سواه لذلك تراه يصوغ أفكاره وعواطفه فى كلام موزون منتظم الوزن ضروري أما القافية فليست من ضروريات الشعر لاسيما اذا كانت كالقافية العربية بروى واحد يلزمها فى كل القصيدة . عندنا اليوم جمهور من الشعراء يكرزون « بالشعر المطلق » ولكن سواء وافقنا « والت هويتمان » وتباعه أم لا فلا مناص لنا من الاعتراف

بان القافية العربية السائدة إلى اليوم ليست سوى قيد من حديد يربط به قرائح شعرائنا — وقد حان تحطيمه من زمان .

وأخيراً — الشاعر كاهن لأنه يخدم آلهاً هو الحقيقة والجمال، هذا الآله يظهر له فى ازياء مختلفة وأحوال متنوعة . لكنه يعرفه أينما رآه ويقدم له تسابيح حيثما أحست روحه بوجوده. يراه فى الزهرة الذاوية والزهرة الناضرة . يراه فى حمرة وجنة الفتاة وفى اصفرار وجه الميت . يراه فى السماء الزرقاء والسماء المتلبدة بالغيوم . فى ضجة النهار وسكينة الليل وبالاختصار أن روح الشاعر تسمع دقات أنباض الحياة وقلبه يردد صداها ولسانه يتكلم « بفضلة قلبه » . تتأثر نفسه من مشهد يراه أو نغمة يسمعها فتتولد في رأسه أفكار ترافقه فى الحلم واليقظة فتمتلك كل جارحة من جوارحه حتى تصبح حملا يطلب التخلص منه . وهنا يرى نفسه مدفوعاً الى القلم ليفسح مجالا لكل ما يجيش فى صدره من الانفعالات وفى رأسه من التصورات ولا يستريح تماماً حتى يأتى على آخر قافية فيقف هناك وينظر الى ما سال من بين شفرتى قلمه كما تنظر الام الى الطفل الذي سقط من بين أحشائها. أمامه فلذة من ذاته وقسم من كيانه .

الشاعر . ونعنى به الشاعر لا « النظام » — لا يأخذ القلم في يده إلا مدفوعاً بعامل داخلى لاسلطة له فوقه . فهو عبد من هـذا القبيل . لـكنه سلطان مطلق عند ما يجلس لينحت لاحساساته وأفكاره تمثالا من الالفاظ والقوافى لانه يختار منها مايشاء . فيختار الاحسن اذا كان من المجيدين أو ما دون ذلك بالتـدريج حسب قواه الفنية والأدبية . اما « النظام » فيأخذ قلماً وقرطاساً ثم يبدأ بوخز دماغه وقريحته عله يتمكن من أن يهيجها ولو قليلا . غايته لاأن يترجم عن عواطف أو أن يعبر عن أفكار بل أن « ينظم قصيدة » لذلك إذا خدعنا هذا بطلاوة نسقه فلا يطول أن نـكتشف تصنعه وخداعه فننساه وننس قصيدته . أما الشاعر الذى يسقى قلمه من قلب طافح وروح هائجة فربما لانفهمه اليوم ولانهتم به . لـكن لابد أن نفيق غداً وندرك هفوتنا لأن الجمال — كالشمس لايختفي . وحينئذ نسرع لنـكفر عن إساءتنا إلى ذلك الشاعر ولو بعد موته . فنعلى مقامه ونقيم له التماثيل ان لم يـكن على ملتقى الطرق أوفى ساحات المدن ففى قلوب تختلج عند مطالعة ماجاء به قلمه . هذا ماجرى لشكسبير وكثيرين سواه من كبار الشعراء والـكتاب . لـكن

شكسبير لم يمت ولن يموت. أما ألوف « النظامين » الذين حازوا شهرة وقتية عن غير استحقاق فلا نسمع بهم ولا نذكرهم. واذا ذكرناهم ففى سبيل التفكهة فقط.

أكثرنا نولد وفينا ميل فطرى إلى الشعر. والشباب هو قصيدة الحياة وربيعها. الذي تنبثق فيه قوى الروح وقوى الجسد من بين أكمام الصبا والذى يحرك فينا هذا الميل فنتوهم أننا شعراء ونبدأ نحلم بشهرة الشعراء العظام.

نأخذ القلم و « ننظم » ونحسب كل قافية يجود علينا بها القاموس « درة فريدة » حكاية قديمة كالدهر يقصها عليكم تلاميذ المدارس فى كل أقطار الأرض لكن هذه القصائد الصبيانية تولد والموت لها بالمرصاد فلا تتعدى دائرة محصورة من الزمان والمكان. ربما تلاها مؤلفوها على مسمع والديهم أو أقاربهم أو أصدقائهم. ثم يطرحونها مع بقية تذكارات الصبا وشوق الشباب ذاك عند الشعوب التي تميز الشاعر من « الشعرور » أما عندنا فكل من ظن أنه شاعر لا يكاد أن ينظم أول قصيدة حتى ترى الجرائد والمجلات قد فتحت صدرها لها وعدت لمؤلفها ألقاباً تتراوح بين « النابغة » و« الشاعر العصرى المجيد » حتى أن أفقر

الشعراء عندنا . اذا لم يكن نابغة فهو على الأقل « شاعر عصرى مجيد »

أنا لاألوم فتى مغروراً بنفسه يظن أنه شاعر وليس بشاعر ولذلك ينظم وينظم وينظم . كلنا نحب أن نصور أنفسنا لأنفسنا أرفع وأحسن وأجمل مما نحن فى الواقع . وقول اليازجى « كل يعد نفسه نعم الفتى » كأنا حقيقة فى عهد عاد وثمود ولا يزال حقيقة فى هذه الساعة وسيبقى حقيقة إلى أن يصبح الأنسان آلهاً . أما « النظامون » — وماذا أقول فيهم بعد ؟ — بينهم من لو درس حرفة الخياطة برع فيها . وبينهم من لايجاريه أحد فى مسح الأحذية . وبينهم من لا نظير له فى بيع الفجل والمرطبات وله صوت فى تلحين « بوردياعطشان » ولاتغريد البلبل . وبينهم من لايشق له غبار في كتابة الصكوك وتسجيل الحجج وبينهم من هم ولاشك نوابغ فى بيع « الكشة » والطرق على الأبواب . لكنهم لايدركون ذلك — وهذه هى مصيبتنا الكبرى فيهم . إذا لمحت إليهم بلطف « أعطوا الخبز لخبازه . وللخياط قنبازه » يجيبونك أنهم قد درسوا ذاك منذ حداثتهم . وإذا نصحت لهم كأخ مخلص أن يرحموا أدمغتهم ويستعملوا وقتهم لعمل أنفع من صيد

القوافى الشاردة استشاطوا غضباً ودعوك طفيلياً تتدخل فيما لا يعنيك . وأفهموك بلغة لاتحتمل التأويل أنهم ينظمون الشعر لأنهم يعشقونه . وإنهم شعراء ويعرفون أنهم شعراء فما لنا إلا أن نقول لهم . « بارك الله لكم بما تملكون وما تنظمون . أما نحن فعلينا واجب مقدس نقوم به أمام أنفسنا وأمام بنينا وبناتنا وذاك أن نقدم لأنفسنا ولهم غذاء روحياً صالحاً لافاسداً . وأن نعطيهم من الشعر أجوده لا أقبحه . لذلك نستميحكم عذراً أن تدعوا الاشياء باسمائها . ولذاك لا « تؤاخذونا » اذا ميزنا بينكم وبين الشعراء فدعونا ما تكتبونه « صف كلام » وما يكتبونه شعراً وفناً ! »

الشعر والموسيقى

لأمين واصف بك

أمين واصف — صاحب المؤلفات العديدة فى الأدب والفلسفة وأحد أفاضل ادباء مصر وكتابها المفكرين له من المقالات والمؤلفات ماتشهد بعلو كعبه في الكتابة ورسوخ قدمه في العلم وقد اشغل مناصب مهمة فى حكومة مصر فظهرت فيها مقدرته وحسن إدارته .

اللغة كائن حى خاضعة لقانون التطور . والشعر جزء من اللغة فهو كذلك يتطور . وقانونه الموسيقي . فالشعر ان لم يتمش مع الموسيقي في تطورها ورقيها أمسى قليل التاثير فى العواطف

قام عروض الشعر الجاهلى على ابسط الالحان كالحداء والنواح واناشيد الحماسة . فلما نهضت الدولة العربية بالاندلس واستبحر عمرانها ونهضت معه الفنون الرفيعة ، ومنها الموسيقى ، كان الشعر العربي باعاريضه القديمة لايصلح لضروب الاغانى المستحدثة . ووجد أهل الاندلس انفسهم فى حاجة الى اختراع

عروض للشعر غير ما سمعوه عن عرب الجاهلية فاحدثوا الموشح والمربع والمخمس والزجل وغيرها كما فعل فكتور هوجو واهل طبقته بعروض الشعر الفرنسي

فقالوا مثلا :

يا هاجرى هل الى الوصال منك سبيل
أو هل ترى عن هواك سالى قلب العليل

وقالوا :

كحل الدجى يجرى من مقلة الفجر على الصباح
ومعصم النهر في حلل خضر من البطاح

ومنها :

يا ليلة الوصل والسعود بالله عودى

ومنها :

بدر تم شمس ضحا غصن نقا مسك شم
ما أتم ما أوضحا ما أورقا ما أتم

ومنها :

ضاحك عن جمان سافر عن در
ضاق عنه الزمان وحواه صدرى

وهكذا مالا يعد ولا يحصى من ضروب الاوزان المتعددة المتنوعة . هـذا العروض المستحدث يدل صراحة باوضاعه المبتدعة على انه وضع للاغانى والالحان أى للموسيقى . اذاً تكون الموسيقي علة هذا التطور

ارتقت الموسيقى العربية على نوع مافى أيامنا هذه بتسلف النغمات التركية واليونانية والفرنجيه شيئا فشيئا حتى اضطر اهلها الى وضع ادوار الاغانى على غير الاوزان المعروفة . فترى بعضها مسجوعا وبعضها بين مرسل ومسجوع . كما نشاهد ذلك في الاندية الموسيقية بمصر فانه على بساطة الالحان الموضوعة اليوم ماوسعتها غير الازجال .

فمتى بلغت الموسيقى العربية مبلغ الموسيقى الأفرنجية وأخذت فى تقليد تلاحين (بتهوفين) وغيره ضاقت ذرعا بالأعاريض المعروفة وستحدث أعاريض جديدة بالضرورة .

هذا وقد التزم الشعراء السالفون لكل قصيدة بحراً واحداً ورويا واحداً . وكانت القصيدة إلا مدحاً أو رثاء أو هجاء أو تشبيباً أبياتها معدودة ذلك مالا عيب فيه عليهم لانها لموضوع واحد وأبيات قلائل . أما الشعراء العصريون فقد

تطرفوا في تقليد من سبقهم فى نظم الشعر فوجدناهم ينظمون القصيدة وموضوعها سيرة خليفة أو تاريخ دولة فى أربعمائة على بحر وقافية

هذا الاسلوب بلا شك ثقيل على الاسماع ، مجهد لقريحة الشاعر ومخرج للشعر عن مناحيه المستملحة ، بصيرورته محض صناعة أوزان وتراكيب . لا املاء شعور وعواطف . والشعر القصصى يداخله كما لا يخفى أغراض شتى من ثناء وهجاء وحزن وسرور ونقد وتحبيذ . هـذه الاغراض المتباينة تطلب تنويع الاعاريض والقوافى بما يتطابق مع ذوق الصناعة الموسيقية . لان الشعر لغة الجمال والموسيقى صوت الجمال ، فلا بد لهما من المطابقة وحسن التأليف .

وما حيلة الشاعر العربى اذا اضطر يوماً إلى تعريب رواية موسيقية (أوبرا) اذا كان مكتوف الذراعين مغلول اليدين بذلك التصنع الظالم بان يرصفها من أولها إلى آخرها على بحر وقافية — كذلك تعريب الروايات — نظماً كانت أو نثراً — يختلف عن تعريب غيرها من أسفار العلم والتاريخ . ففى الثانية يغتفر التصرف بالحذف والأختصار . بخلاف الأولى فانه يجب حتما أن يكون

المعرب صورة صادقة للأصل . لأنها إملاء شعور وعواطف جاء من طريق الفيض الربانى . وخول الكتابة وأقطابها كما قال (كرلايل) ذوو بصيرة حادة نافذة تتسلط على الكون فتكشف ما طوى من حكمة ما على النفس البشرية فتبين اسرارها وهداها لأن تلك البصيرة شهاب من نور الله — فهؤلاء لا بد من الاحتفاظ باسلوبهم وألفاظهم كما هى ما استطاع المعرب إلى ذلك سبيلا . متى كان الغرض نقل آداب لغة إلى لغة أخرى . ليقف القراء على أسرار بلاغتهم وطريقة تفكرهم ونطق أذهانهم كما فعل الشاب البار معرب (آلام فرتر) للكاتب الالمانى جوته وأمثاله وقليل ماهم

أثرت بلاغة القرآن فوجد الشعراء الأسلاميون . وفاضت آداب الفرس والرومان فنبت الشعراء المولدون والمحدثون . كذلك تحدث آداب الفرنج شعراً جديداً وادبا مجيداً . وادبيات كل أمة مرآة رقيها ونوع مدنيتها .

الشعر والشعراء

مقالة مأخوذة عن مقالات عصرية
عنى بجمعها حليم دموس

حليم دموس — الأديب الرحلى المشهور عرف بسلامة الذوق وجودة الشعر العصرى بما كتبه ونظمه منذ صباه : وقد أدى خدمة تذكر للأدب العربى بنقله طائفة من قصائد شعراء الغرب وبالخاصة الاميركيين ، ولع بالادب والشعر يافعا فأجاد إجادة مهدت له شهرة وحسن سمعة فى هذا المسلك . وهو من الادباء المكثرين في نظمهم ونثرهم فلا تقلب صفحات كبريات جرائد ومجلات العرب فى الشرق والمهجر الا وترى له فيها القصائد والمقطوعات والكلمات والمقالات وبالخاصة فى الفترة التى بين ١٩١٠ — ١٩١٤ وقد جمع ديوانه بعد الحرب الكبرى وطبعه فنفدت طبعته الاولى فى شهور فأعاد طبعه وهذا دليل محسوس على اعجاب القراء بشعره وولع المتأدبين به . هو أول من وصف كتاب سورية وخطباءها وجال جولات فى ميدان الكتابة والنظم وكتب ونظم فى أكثر الموضوعات وهو اليوم أحد اخوة الرابطة الأدبية فى دمشق ومن العاملين المجيدين فيها .

ما هو الشعر ؟ لا يحد بكلمة ولا يحد بألف [١] فهو كالحسن لا يوقف له عند حد [٢] بل هو لغة القلوب وترجمان العواطف يختلف باختلاف الزمان والمكان ويرتقى بارتقاء الشعوب [٣] يحرك قلب الشجاع العنيد فينقلب رحيما سموحاً ، ولينا صفوحاً وتستفز به عاطفة الجبان فيصير شجاعاً قاسياً ومحارباً جافياً [٤] . وهو كلام تؤدى به المعانى بتخيلات تؤثر فى النفس تأثيرات مختلفة من ترغيب وترهيب . وايقاد غضب . وايقاظ من غفلة . واثارة شجاعة إلى غير ذلك من الانفعالات [٥] وهو من أعلى طبقات الكلام وأبعدها غاية لما يقتضيه من شرف الالفاظ ونباهة المعانى وسلامة الذوق والمبالغة فى التنقيح والتهذيب [٦]

الشعر صورة ظاهرة لحقائق غير ظاهرة . يصور لنا جمال الطبيعة بالخيال . ويعبر عن أعجابنا بها وارتياحنا اليها بالالفاظ فالشعر والموسيقى صنوان هو يعبر عن جمال الطبيعة بالالفاظ والمعانى . وهى تعبر عنه بالانغام والالحان وكلاهما فى الاصل شىء واحد [٧]

(١) الدكتور نقولا فياض (٢) معروف الرصافي (٣) احمد تقى الدين
(٤) رفيق العظم (٥) ابراهيم الحورانى (٦) ابراهيم اليازجى
(٧) جرجى زيدان

وللشعر أسباب يكون عنها فاذا هى اجتمعت فى واحد فذلك . ولكنك قل ان تجد من يسمى شاعراً بحق كما قل أن ترى من لا يريد أن يكون شاعراً بالباطل [١] والشعر مرآة تتمثل فيها أخلاق وعادات الامم فهما صفت وراقت صفحتها وشف سطحها كان تمثيلها أصح ورونقها أوضح [٢] بل هو ما تفجر من صدوع الافئدة الكليمة فجرى من عيون الباكين مع مدامعهم وصعد من صدورهم مع زفراتهم [٣] بل هو الحكمة يجدها الحكيم فيبرزها بما يليق بها من محاسن اللفظ [٤] وسفير المحبة بين المعشوق والعاشق . والملجأ الذى يلتجىء اليه فى الوحشة المفارق . بل هو السلك الكهربائى الذى ينقل ضربات القلوب بين المحب والمحبوب بل هو وتر بديع زين به قيثار الأدب . فوقع رنته فى النفوس أوقع من رنة آلات الطرب [٥]

وفى الشعر أسرار هى الشعر فى نفسه . وأخبار هى اليوم فى أمسه [٦] فهو روح غنائية اذا سرت فى ذرات هذه العوالم الحية الملهمة السارية فى هذه الأجرام العظيمة وعبرت عن ألطف

(١) مصطفى الرافعى (٢) عيسى المعلوف (٣) مصطفى المنفلوطى
(٤) نجيب الحداد (٥) قيصر المعلوف (٦) محمد امام

حس فيها [١] جعلت اسم صاحبها خالداً [٢]

خذ أخفى مايكنه القلب البشرى وأسمى مايحمله الفكر البشرى وألبسه حلة اللفظ الرقيق والقول الرشيق يكن لك الشعر [٣] فان لمعانى الشعر البليغ تأثيراً لا ينكره الا مريض الذوق وغليظ الطبع وثقيل الروح [٤] وليس الشعر الا ما مثل الوجدانى وجسم الروحانى وجرد الجسمانى فظهر حتى اشرق وبطن حتى اخترق [٥] ومن الشعر ما يقال أنه يدخل الآذان بدون استئذان [٦] وليس من خواص الشعر ولا من مواده سن الشرائع ونشر الحقائق وتدوين الوقائع والحوادث التاريخية [٧] ولكنه وصف دقيق وغزل رقيق وبسط حقيقة حال وجولة حول خيال [٨] بل هو ريحانة النفوس وزهرة الأدب وديوان العرب [٩] وصورة معنوية يلونها الكلام فتدركها الأفهام [١٠]

وخير الشعر من لا يظهر صاحبه مظهر العبودية لكبير

(١) محيي الدين الخياط (٢) فيلكس فارس (٣) الدكتور نقولا فياض (٤) ابراهيم الحوارانى (٥) محمد عبده (٦) سليم سركيس (٧) حلمى المصرى (٨) سليمان البستانى (٩) أديب اسحق (١٠) شبل دموس

ولا الذلة لخطير ولا التزلف لشهير [١] فيدخل الشاعر فى القصيدة ويخرج منها فى جلسة واحدة فاذا جلس لها حفت به المعانى ومثل بحضرته الخيال وتغايرت فيه الالفاظ وتقاتلت عليه القوافى [٢] فيمثل الحقيقة ويحببها الى النفوس ويغرى العقول بتناولها وانمائها فى مخادع النفوس لتنقية الهيكل الآدمى من الشوائب التى تشعره محاسنه وتلوث جدرانه بوصمات العار [٣] لذلك قالوا أن الشعر مرآة الاخلاق وتاريخ ماكانت عليه الامم فى مراقى تقدمها وحضارتها الى الآن [٤] وبالجملة فالشعر هو صوت الانسانية فى أفواه البعض ممن فاقوا الانسان أو هو الاقيانوس موجة تذهب وموجة تجىء . أو كالريح يتغير صوتها ولا يتغير جوهرها . أو حفيف أجنحة فى الفضاء الواسع . أو خمر تدب فى النفوس وسحر يسطو على الرؤوس [٥]

وأبلغ الشعر ما جمع بين الاغراض النفسية والطبائع الجثمانية والحقائق العلمية الكونية [٦] وأفضله ما هو فى غالب حاله

(١) اسماعيل عاصم (٢) حافظ ابراهيم (٣) نجيب دياب (٤) نجيب الحداد (٥) الدكتور نقولا فياض (٦) احمد الكاشف

غاية الغايات فى استحكام التأليف وبداهة التعبير وجودة السبك ووضوح المراد . قد كسته الفصاحة زخرفها وألقى عليه البيان نوره فتسابقت معانيه الى الافهام. وعلقت ألفاظه بالخواطر والاوهام . واستوى فى انشاده الخاصى والعامى . والتقى على استحسانه العالم والامى [١] وأجود الشعر ما برزت به الخيالات والالوان بروز المحسوسات للحواس حتى كأن الشعر مجرى يصل به شعور الشاعر إلى قلب السامع [٢] وما النبوغ الشعرى إلا قوة سامية يهبها الله من يشاء من أفراد الامة [٣] ولو خيرت الحقيقة لما اختارت منزلا تشرف منه على الاذهان وهى فى تعزز السلطان أفضل من أبيات شعر [٤] ومما لا ريب فيه أن للقريض نصيباً وافراً فى اللذة تخالج أفئدتنا والسهولة التي تخضر أعصابنا عند تلاوة الشعر أو سماعه [٥]

على أن الشعر ليس بالعلم الذى ينال بالجد والمثابرة وان زعم الخوارزمى خلاف ذلك فان لم تسقه سليقة فطرية ظل تافهاً على ممر السنين وهو اما جيد واما ردىء ولا ثالث بينهما [٦] يقول

(١) ابراهيم اليازجي (٢) سعيد الشرتونى (٣) الآنسة مى
(٤) محمد عبده (٥) حلمى المصرى (٦) سليمان البستاني

المفكرون أن الشاعر هو الرجل الذى تنحل روحه ويرق قلبه أما نحن فلسنا على هذا الرأي . والشاعر في نظرنا انما هو الرجل ذو النفس القوية والقلب الجبار الذى يحفظ كل سكوته امام جراحه ويضع جنانه بقلمه ليصور بكل وضوح ما ينعكس على نفسه من حقائق الوجود[١]

قال أحد مشاهير الفرنجة ما معناه : انه يمكن الانسان أن يصير خطيباً بالمزاولة والتمرين ولكن لا يصير شاعراً إلا اذا ولد كذلك وهو يريد أن للشعر قوة طبيعية نشاهدها فى كثير من الناس لأن المغرمين بفن الزجل (المعنى) فى بلادنا يأتون بالمعانى الغريبة التى كثيراً ما يعصى عنها أمهر الشعراء لولا لحنهم وما ذلك الا لأنهم أوتوا قريحة للنظم ولطافة ذوق مما لم يرزقه كل واحد .[٢]

والشعر علم وجد مع الشمس لا تعرف الانس له واضعاً . كمن فى نفوس البشر كمون الكهرباء فى الأجسام فلا يهتدى الى مكمنه الخاطر ولا يعثر به الخيال الا اذا أثارته حركة النفس[٣] لزمت الحكمة الشعر حتى انه أكثر ما يستحب بها ، وحتى

(١) فيلكس فارس (٢) عيسى المعلوف (٣) حافظ ابراهيم

أنها أكثر ما تستحب به [١].

والشعر البليغ وحى طبيعى والشعراء أنبياء طبيعيون ولهذا يعجز كثيرون من أرباب البلاغة وأساطين الحكمة عن نظمه ويحكمه بعض الأميين [٢].

أما المعانى الشعرية فليست من قبيل الاسرار الصوفية أو القضايا التعليمية التى تقتضى دقة نظر وجهد ذهنى وانما هى معان طبيعية تدركها البداهة بأدنى رمز [٣] وارق شعر للرجل هو ما يقوله فى وصف المرأة لاجتماع الرقة فى كليهما [٤].

وجد الشعر الانسان وسيرافقه الى آخر الزمان [٥] ومبلغ القول فيه انه ريحانة النفوس، ومبدد البؤوس، وسجل الحكمة ومنهل النعمة، ومحط الفخار، ومطمح الابصار [٦]، ولسان الوجدان. وترجمان الجنان، وصورة العواطف الحساسة الرقيقة فى كل انسان [٧] ومسرح الخيال، ومغنى الفصاحة، وخدر البلاغة ووعاء الحقيقة [٨] ما ارتقت أمة من الامم الا

(١) خليل المطران (٢) ابراهيم الحوراني (٣) ابراهيم اليازجى (٤) فارس الشدياق (٥) الدكتور نقولا فياض (٦) سليمان البستانى (٧) محيى الدين الخياط (٨) حافظ ابراهيم

كان الشعر عندها بالمنزلة الاولى [١] الشعر يا قوم روح مقدسة متجسمة من ابتسامة تحيي القلب . أو تنهدة تسرق من العين مدامعها . أشباح مكمنها النفس وغذاؤها القلب ، ومشربها العواطف . وان جاء الشعر على غير هذه الصور فهو كمسيح دجال نبذه أوفى [٢] . وما الشعر الا شعور النفس بالحقيقة من جانب الخيال [٣] .

ومعلوم ان قوتى الخيال والشعور هما جناحا الشاعر يحلق بهما الى أعلى سماء الشعر ويأمن تهشيمها اذا كان العقل رائده فى حياته العلوية [٤] . وقد أجاد من قال : أن البيت من الشعر كالبيت من الابنية والشعر قراره الطبع وسمكه الرواية ودعائمه القلم . وبابه الدربة وساكنه المعنى ولا خير فى بيت غير مسكون [٥] وخير الشعر ما سبق دبيبه فى النفس دبيب الغناء ثم سبح بها فى عالم الخيال وأبلغه وأحسنه ما انسجمت ألفاظه ووضح معناه ومكنت قافيته وأطرب وهز وأرقص [٦] وضرب على أوتار القلوب فسمع لرنينها صدى بعيد فى أعماق النفوس [٧] .

(١) جبر ضومط (٢) جبران خليل جبران (٣) حنا خباز (٤) انطون الجميل (٥) عيسى المعلوف (٦) ابراهيم الحورانى (٧) مرآة الغرب

والشعر لغة الارواح [١] وتصوير ناطق [٢] وهو كالثمر قشر ولباب [٣] بل هو أقدم من العلم لأن الأول مبنى على الشعور وأما الثانى فمقيد بالأحكام العقلية [٤] وهو اللغة الوحيدة التى تستولى على الانسان بكل ما فيه من الانسانيـة [٥] وهو مرقاة الفكر الى مراتب الابداع والاختراع فى المعانى والالفاظ . وداعية التوسع فى اللغة والمران على حسن الانشاء اللذين هما أساس الرقى العقلى فى كل أمة وجيل [٦] ومن سحره انه يضع أذنه على العين فتسمع وعينه على الاذن فترى [٧] وللشعر الجميـل المعنى دورة فى النفس ومدخل فى القلب [٨] فينقل من الازهار الى الاقمار ويكاد يسلخ نهاراً من ليل وليلا من نهار [٩] .

وقصارى ما نقول اذا أردنا أن نعرف الشعر أنه مرآة من الشعور تنعكس فيها صور الطبيعة بواسطة الالفاظ انعكاساً يؤثر فى النفوس تأثير الانقباض والانبساط [١٠] وهو مستقر فى كل نفس وندر ألا ينطق به انسان [١١] .

(١) شبل دموس (٢) مصطفى المنفلوطى (٣) محمود رمزى نظيم (٤) جرجى زيدان (٥) الدكتور نقولا فياض (٦) رفيق العظم (٧) مصطفى الرافعى (٨) احمد عطيه (٩) محمد أمام العبد (١٠) معروف الرصافى (١١) محمد صادق عنبر

الشعر

لمصطفى صادق الرافعى

مصطفى صادق الرافعى — هو أبو السامى أحد سادات الأدب فى مصر وشاعر من شعراء العصر المجيدين كما ان كتابه « حديث القمر » يرفعه الى منزلة علية بين كتاب النثر المبرزين — على قلتهم عند العرب فى هذا العصر — يذهب فى شعره مذهب شعراء المعانى كالمتنبى وابن الرومى واضرابهما . ولقد عرفه عالم الأدب بعد ان وقف على كتاب (تاريخ آداب العرب) أديباً نادر المثال واقفا على روح الأدب العربي فى كل عصر من عصوره . كما ان كتابه (المساكين) وغيره ونشيده المصري الوطنى الذي نال اعجاب الناطقين بالضاد ودواوينه العديدة أحلته محلا رفيعا فى ديوان الأدب العصرى لا يتطاول اليه كثير من كبار الشعراء وأفاضل الكتاب .

أول الشعر اجماع أسبابه . وانما يرجع فى ذلك الى طبع صقلته الحكمة وفكر جلا صفحته البيان. فاالشعر إلا لسان القلب اذا خاطب القلب . وسفير النفس اذا ناجت النفس . ولا خير فى لسان غير مبين ولا سفير غير حكيم .

ولو كان طيراً يتغرد لكان الطبع لسانه . والرأس عشه والقلب روضته . ولكان غناءه ماتسمعه من أفواه المجيدين من المجيدين من الشعراء. وحسبك بكلام تنصرف اليه كل جارحة وتضم كل جانحة ويجىء من كل شىء حتى لتحسب الشعراء من النحل تأكل من كل الثمرات فيخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس .

وكانماهو بقية من منطق الانسان اختبأت فى زاوية من النفس فما زالت بها الحواس حتى وزنتها على ضربات القلب وأخرجتها بعد ذلك ألحاناً بغير ايقاع ألا تراها ساعة النظم كيف تتفرغ كلها ثم تتعاون كانما تبعث بنور العقل عن شىء غاب عنها فى سويداء الفؤاد وظلماته . لذلك كان أحسن الشعر ما تتغنى به قبل عمله وهى طريقة تفنن فيها الشعراء حتى لكان الحطيئة يعوى فى أثر القوافى عواء الفصيل فى أثر أمه

وترى المجيد من أهل الغناء اذا رفع عقيرته يتغنى ذهب فى التحرك مذاهب حتى كأنما ينتزع كل نغمة من موضع فى نفسه فيتألف من ذلك صوت اذا أجال حلقه فيه وقعت كل قطعة منه فى مثل موضعها من كل من يسمع فلا يلبث ان يستفزه طربه كأنما انجذب قلبه وتصبو نفسه . كأنما أخذ حسه . لا فرق فى ذلك بين أعجمى وعربى . ومن هذا ترى أحسن الاصوات يغلب على كل طبع وانما الشاعر والمغنى فى جذب القلوب سواء . وفى سحر النفوس أكفاء إلا أن هذا يوحي الى القلب وذاك ينطق عنه وأحدهما يفيض عليه والثانى يأخذ منه . والويل لكليهما اذا لم يطرب هذا ولم يعجب ذاك

والشعر موجود فى كل نفس من ذكر وانثى . فانك لتسمع الفتاة فى خدرها والمرأة فى كسر بيتها . والرجل وقد جلس فى قومه والصبي بين اخوته . يقصون عليك أضغاث أحلام فتجد فى أثناء كلامهم من عبق الشعر ما لو نسمته لفغمك . وحسبك أن تكسر وسادك تتحدث اليهم فتراه طائراً بين أمثالهم وفى فلتات ألسنتهم وهو كأنما قد ضل اعشاشه . ولقد نبغ فيه من نساء هذه الامة شموس سطعن فى سماء البيان . وطلعن

في أفق البلاغة ولا يزال الناس الى اليوم يروون للخنساء وجنوب وعلية وعنان ونزهون وولادة وغيرهن وبحسبك قول النواسى ما قلت الشعر حتى رويت لستين امرأة منهن الخنساء وليلى .

ولو كان الشعر هذه الالفاظ الموزونة المقفاة لعددناه ضرباً من قواعد الاعراب لا يعرفها الا من تعلمها ولكنه يتنزل من النفس منزلة الكلام فكل انسان ينطق به ولا يقيمه كل انسان وأما مايعرض له بعد ذلك من الوزن والتقفية فكما يعرض للكلام من استقامة التركيب والاعراب . وانك انما تمدح الكلام باعرابه ولا تمدح الاعراب بالكلام .

ولم أقرأ أجمع فيه من قول حكيم العصر . وأمام الافتاء فى مصر (يريد به المرحوم الشيخ محمد عبده) لو سألوا الحقيقة أن تختار لها مكاناً تشرف منه على الكون لما اختارت غير بيت من الشعر ، ولا فيما قالوه فى الشعراء أجمع من قول كعب الأحبار « الشعراء أناجيلهم فى صدورهم تنطق ألسنتهم بالحكمة »

ولم يكن لأوائل العرب من الشعراء الا الابيات يقولها الرجل فى الحاجة تعرض له كقول دويد بن زيد حين حضره الموت وهو من قديم الشعر العربى

اليوم يبنى لدويد بيتـه لو كان للدهر بلى أبليته
أو كان قرنى واحد أكفيته

وأنما قصدت القصائد على عهد عبـد المطلب أو هاشم بن عبد مناف .

وهناك رفع امرؤ القيس ذلك اللواء وأضاء تلك السماء التى ما طاولتها سماء . وهو لم يتقدم غيره الا بما سبق اليه مما أتبعه فيه من جاء بعده . فهو أول من استوقف على الطلول ووصف النساء بالظباء والمها والبيض وشـبه الخيل بالعقبان والعصى وفرق بين النسيب وما سواه من القصـيدة وقرب مآخذ الكلام وقيـد أوابده وأجاد الاستعارة والتشبيه ولقد بلغ منه انه كان يتعنت على كل شاعر بشعره .

ثم تتابع القارضون من بعده فمنهم من أسهب فأجاد ومنهم من أكب كما يكبو الجواد وبعضهم كان كلامه وحى الملاحظ وفريق كان مثل سهيل فى النجوم يعارضها ولا يجرى معها . ولقد جدوا فى ذلك حتى أن منهم من كان يظن أن لسانه لو وضع على الشعر لحلقه . أو الصخر لفلقه

ذلك أيام كان للقول غرر فى أوجه ومراسم بل ايام كان

من قدر الشعراء أن تغلب عليهم ألقابهم بشعرهم حتى لا يعرفون الا بها كالمرقش والمهلهل والشريد والممزق والمتلمس والنابغة وغيرهم. ومن قدر الشعر ان كانت القبيلة اذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها بذلك وصنعت الاطعمة واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر كما يصنعن فى الاعراس. وأيام كانوا لا يهنئون إلا بغلام يولد أو شاعر ينبغ أو فرس تنتج. وكانت البنات ينفقن بعد الكساد اذا شبب بهن الشعراء.

ولم يترك العرب شيئاً مما وقعت عليهم أعينهم أو وقع إلى آذانهم أو اعتقدوه فى أنفسهم إلا نظموه فى سمط من الشعر وأدخروه فى سفط من البيان حتى أنك ترى مجموع أشعارهم ديواناً فيه من عوائدهم وأخلاقهم وآدابهم وأيامهم وما يستحسنون ويستهجنون حتى من دوابهم. وكان القائل منهم يستمد عضو هاجسه وربما لفظ الكلمة تحسبها من الوحى ولم يكن يفاضل بينهم الا أخلاقهم الغالبة على أنفسهم فزهير أشعرهم اذا رغب. والنابغة إذا رهب. والاعشى اذا طرب وعنترة اذا كلب. وجرير اذا غضب وهلم جرا.

ولكل زمن شعر وشعراء ولكل شاعر مرآة من أيامه.

فقد انفرد امرء القيس بما علمت واختص زهير بالحوليات واشتهر النابغة بالاعتذارات وارتفع الكميت بالهاشميات وشمخ الحطيئة بأهاجيه وساق جرير فلائصه وبرز عدى فى صفات المطية وطفيل فى الخيل والشماخ فى الحمير ولقد أنشد الوليد بن عبد الملك شيئاً من شعره فيها فقال ما وصفه لها انى لاحسب أن أحد أبويه كان حماراً . . وحسبك من ذى الرمة رئيس المشبهين الاسلاميين أنه كان يقول « اذا قلت كأن ولم أجد مخلصاً منها فقطع الله لسانى » ولقد فتن الناس ابن المعتز بتشبيهاته . وأسكرهم أبو نواس بخمرياته ورقت قلوبهم على زهريات أبى العتاهية وجرت دموعهم لمراثى أبى تمام وابتهجت أنفسهم بمدائح البحترى وروضيات الصنوبرى ولطائف كشاجم

فمن رجع بصره فى ذلك وسلك فى الشعر ببصيرة المعرى وكانت له أداة ابن الرومى وفيه غزل ابن ابى ربيعة وصبابه ابن الاحنف وطبع ابن برد وله اقتدار مسلم وأجنحة ديك الجن ورقة الجهم وفخر أبى فراس وحنين ابن زيدون أو أنفة الرضى وخطرات ابن هانى وفى نفسه من فكاهة أبى دلامة ولعينيه بصر ابن خفاجة بمحاسن الطبيعة وبين جنبيه قلب أبى الطيب

فقد استحق أن يكون شاعر دهره وصناجة عصره .

وأبرع الشعراء من كان خاطره هدفا لكل نادرة فربما عرضت لشاعر أحوال مما لا يفى غيره فاذا علق بها فكره تمخضت عن بدائع من الشعر جاءت بها كالمعجزات وهى ليست من الاعجاز فى شئ ولا فضل للشاعر فيها الا انه تنبه لها . ومن شد يده على هذا جاء بالنادر من حيث لا يتيسر لغيره ولا يقدر هو عليه فى كل حين .

وليس بشاعر من اذا أنشدك لم تحسب أن سمعه مخبوء فى فؤادك وأن عينيك تنظر فى شفافه فاذا تغزل أضحكك ان شاء وأبكاك ان شاء . واذا تحمس فزعت لمساقط رأسك واذا وصف لك شيئاً هممت بلمسه حتى اذا جئته لم تجده شيئاً واذا عتب عليك جعل الذنب لك الزم من ظلك . واذا نثل كنانته رأيت من يرميه حريقاً لا أثر فيه لقذيفة ولا مدية ولكنها كلمة فتحت عليها عينه وأولجت الى قلبه من أذنه فاستقرت فى نفسه وكانما استقر على جمر واذا مدح حسبت الدنيا تجاد به واذا رثى خفت على شعره أن يجرى دموعا واذا وعظ استوقفت الناس كلمته وزادتهم خشوعا واذا فخر اشتم من لحيته رائحة الملك

الأستاذ السيد مصطفى صادق الرافعي

فحسبت انما صفت به الاملاك والمواكب

وجماع القول فى براعة الشاعر أن يكون كلامه من قلبه فان الكلمة اذا خرجت من القلب وقعت فى القلب واذا خرجت من اللسان لم تتجاوز الآذان .

ولقد رأينا في الناس من تكلف الشعر على غير طبع فيه فكان كالاعمى يتناول الاشياء ليقرها فى مواضعها وربما وضع الشئ الواحد فى موضعين أو مواضع وهو لا يدرى .

وأبصرنا فيهم كذلك من يجىء باللفظ الموءنق والوشى النضير فاذا نثرت أوراقه لم تجد فيها ثمرات فجة .

ورأينا فى المطبوعين من أثقل شعره بانواع من المعانى فكان كالحسناء تزيدت من الزينة حتى سمجت فصرفت عنها العيون بما أرادت أن تلفتها به على أن أحسن الشعر ما كانت زينته منه وكل ثوب لبسته الغانية فهو معرضها .

وهو عندى أربعة أبيات بيت يستحسن وبيت يسر وبيت يندر وبيت يجن به جنوناً وما عدا ذلك فكالشجرة التى نفض ثمرها ، وحنى هرها لا يرغب فيها إلا محتطب

أما مذاهبه التى ابانوها من الغزل والنسيب والمدح والهجاء

والوصف والرثاء وغيرها فهي شعوب منه وما انتهى المرء من مذهب فيه الا الى مذهب ولا خرج من طريق الا الى طريق، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون ! وما دامت الاعمار تتقلب بالناس فالشعر أطوار ، آونة تخطر فيه نسمات الصبا مابين اقنان الوصف الى أزهار الغزل ويتسبسب فيه ماء الشباب من نهر الحياة إلى مشرعة الأمل ، وطوراً تراه جم النشاط تكاد تصقل بمائه السيوف. وتفرق بحده الصفوف وحيناً تجده وقد ألبسه المشيب ثوب الاعتبار وجمله بمسحة من الوقار . وهو في كل ذلك يروي عن الايام وتروى عنه وما أكثر فنون الشعر إذا رويتها عن أفانين الايام .

وأما ميزانه فاعمد الى ما تريد نقده فرده الى النثر فان استطعت حذف شيء من معناه أو كان في نثره أكمل منه منظوماً فذلك الهذر بعينه أو نوع منه ولن يكون الشعر شعراً حتى تجد الكلمة من مطلعها لمقطعها مفرغة في قالب واحد من الاجادة

الشعر والشعراء

لانيس الخوري المقدسى

أنيس الخورى المقدسى — أحد مدرسى الآداب العربية فى الجامعة الاميركية فى بيروت — أديب متفنن وشاعر جيد النظم ، ومدرس بارع ومؤلف كتب مدرسية فى الأدب العربى ذات قيمة . ينظم ويكتب على الدوام ، هو أكثر شعراء العصر قصائد فى الوقفات على الأنهر فى الشرق والغرب . وشعره سلس حسن الديباجة . وكتابته تنم عن أدب غزير وعلم جم . وهو اليوم شاعر الجامعة الاميريكية فى بيروت يزين حفلاتها الكبرى بقصائده ومنظوماته بينها طائفة من أحسن ما يقال فى الوطنية والاجتماع والاخلاق . وحين يكتب فى موضوعات تاريخ الأدب يحاول النسج على طريقة الغربيين فى هذه الابحاث فيجيد ويفيد . وبكلمة هو أحد العاملين فى تشييد هيكل الادب العربي فى سورية وله فى تعليم العربية والنظم والكتابة والتأليف أياد لا يجحدها تاريخ النهضة الحاضرة فى تلك الربوع

قال كارليل : « الشعر الحقيقى هو الموسيقى الازلية التى يسمعها الشاعر من وراء الوجود ». وهو لعمرى كلام رجل اخترق نظره حجب الطبيعة ونزل إلى أعماقها فرأى هناك ما لا يرى وأدرك ما لا يدرك

ما وراء الوجود! ما هو هذا المكان الغريب وما هى تلك الموسيقى الازلية التى لا تسمع الا هناك ؟

أرأيت شاعر العبران ينزل الى أعماق الحياة السفلى ويتمشى بين تلك الظلمات الكثيفة ثم يخرج الى قومه فينشد لهم ما سمعه من الله فى تلك الاعماق ذلك هو الشاعر وشعره أساس الايمان ومشكاة الفضيلة في بنى الانسان .

أرأيت دانتى خارجاً من الجحيم ينشد شعره من جوف الظلام هو رجل الحب والنار . وتلك النفس المتقدة فيه توقد القلوب وتذيب العواطف وذلك هو الشاعر وشعره المستمد من جحيم الشقاء والآلام نار تذيب جمود النفس وتقوى الارادة فى الانام

أرأيت تنسون شاعر القرن التاسع عشر وقد ملأ الحزن قلبه لفقده أعز أصدقائه . كيف يتألم . كيف يصمت السنين الطوال . كيف يهيم على وجهه فى ظلام اليأس والشقاء وهو يقول:

لا يزال السبيل وعراً أمامى غير أنى فى ذا السبيل صبور
راغباً أن أرى جميع الأنام أن حبى لن يعتريه فتور

ثم يخرج من ظلام اليأس إلى نور الرجاء ، فينشد نشيد الخلود الابدى الذى يرفع النفس إلى اعالى السماء ؛ذلك هو الشاعر وشعره نور الخلود وبهجة الوجود .

روح الفضيلة — نار الطبيعة — نور الخلود . تلك مزايا الشعر الحقيق بل هى تلك الموسيقى الازلية التى لا يسمعها الا الشعراء الذين يرتفعون عن المادة الباردة الى الملأ الاعلى فيرتوون من منابع الوحي الخفية ، ويقودون البشر إلى ما هو اسمى من المادة واعمق من الظواهر الطبيعية

على ان للشعر من حيث هو فن ثلاثة اركان لابد من النظر فيها وهى اسلوبه وروحه وموضوعه ،اما الاسلوب فيتغير بتغير الامم وله فى كل منها مظاهر شتى وهو يتناول صياغة الكلام وتركيب العبارات وكيفية رصفها وتنسيقها وبكلمة هو صناعة النظم التى يمتاز بها شاعر عن شاعر وامة عن امة ، فالعرب مثلا يعلقون أهمية كبرى على الصناعة الشعرية وقد حددوا الشعر بقولهم هو الكلام المقفى الموزون ، ولا ريب ان انصراف

افكارهم الى الاسلوب الشعرى دون سواه او تماديهم فى الاهتمام به قد اثر فى حياتهم الشعرية جداً حتى اغفلوا روح الشعر وموضوعه كما يعرف ذلك كل من له إلمام بانتقاد الشعر

ويراد بروح الشاعر « او الشاعرية » مقدرة الشاعر الطبيعية على فرض الشعر وميله الغريزى إلى تفهم حقائقه الخفية وهذه الروح تشترك فيها الامم، الشاعر شاعر سواء كان يحدو العيس ويخاطب الاطلال أو يخترق استار الطبيعة الى منابع الوحى والجمال . إلا ان هذه الروح تتأثر بمؤثرات شتى كالتهذيب العالى والوسط والراقى ولذلك تراها على تفاوت بين الأمم وكأى من شاعر لو أتيح له وسط مناسب لبزّ أكابر الشعراء ولكنه قضى خاملا وماتت معه شاعريته الطبيعية.

اما موضوع الشعر او مرماه فهو مظهر ارتقائه ودليل تقدم اربابه . به تنجلى قوة الوحى وعليه يتوقف مقام الشاعر وتأثيره فى الامم والاجيال . وهنا لابد لي ان اقول ان شعرنا العربى لا يزال مقصراً بالنسبة الى الشعر الافرنجي انى اسلم مع القائلين ان الشعر العربى قد يضاهى او يفوق الافرنجى فى اسلوبه وشاعرية ناظميه ولكنى اشهد على رؤوس الملأ اننا مقصرون

فى ما هو أهم من ذلك — فى غاية الشعر العظمى ومرماه . نحن لا نزال بعيدين عن مرامى الوحى البعيدة التي تنبثق منها العواطف السامية والفلسفة الخالدة لنقلب دواوين شعرائنا من أقدم العصور الجاهلية الى الآن . فاين نجد مثل فردوس ملتون وجحيم دانتى ؟ أين لنا مواضيع شكسبير وتنسون وهوغو وغوته ولو نغفلو ؟ الموضوع الشعرى لم يرتق بعد عندنا . وشاعرنا لا يزال قصير النظر يلازم الأرض التى داسها أسلافه فاذا اقتضت الساعة كلمة فى مدح أوهجاء أو عظة أو وصف وغزل اجادما أراد ولكنه عاجز عن الاختراع — عاجز عن توليد المواضيع السامية وإذا ولدها فعاجز عن الوصول اليها عن أفضل الطرق وأجملها

فالشعر العادى أو نظم الكلام موجود فى كل زمان ومكان ولكن الشعر العظيم الذى يتناول أسمى ما تقدمه الطبيعة للبشر فينشىء منه هياكل مقدسة لعبادة الفضيلة والجمال — لا يوجد إلا بين الذين فهموا أسرار الطبيعة وأدركوا معنى الحياة :

وإذا رأينا الامم العظيمة تنظم الشعر وترفع قدر الشعراء فلأنها ترى فى الشعر مالا تراه فى سواه مما يهذب النفوس ويرقى العواطف وليس الشعراء الحقيقيون عندهم بأقل من الانبياء .

هؤلاء يحملون إلى البشر رسالة الواجبات وأولئك يحملون اليهم رسالة الجمال . قال غوته : الجمال اسمى من الصلاح لان الصلاح فرع منه . رسول الجمال : ما أشد تأثيره فى البشر :

فما هى بريطانيا العظمى ، وما هى فرنسا والمانيا بل ما هو العالم بأسره . أسيوف قادته ومدافع بوارجه ؟ كلا فان لهذه دوراً ثم يزول . ولكن الامم العظيمة هى تلك الروح العامة التى تضم أفراده معاً برباط خفي يحوكه الشعراء والانبياء ، هى أخلاقهم المؤسسة على مبادىء الفضيلة والجمال .

فمن هو الشاعر إذن ؟ الشاعر من رأى وفهم وتلا آيات الوحى على الأنام ويشترط أن يكون كبير النفس شريف المبدأ يأبى الضيم ويحتقر الظلم والخسة في النفوس .

الشاعر الحقيقى كثير الاخلاص . لا يرائى ولا يخدع ولا يتطلب جزاء . ذلك مناف لطبيعته والآن فما الفرق بينه وبين ناظمي الكلام ؟ نعم هؤلاء يعرفهم العامة ولكن الشاعر العظيم عظيم عرفه العامة أم لم يعرفوه . قال كارليل . من الخطأ أن نقيس علو نفس الانسان بأصوات الاقلام المداحة له . أوسعوا لذي المواهب طريق العمل وأريحوه من أصواتكم فان جلبة

القصبات المشقوقة لا تأثير لها فى اهمية الرجال » .

ان كمال المبادىء الأدبية ألا يرى الانسان الحقيقة الخفية ويصورها كما يراها . هذا هو الشعر وذلك هو الشاعر وليس يبقى فى الوجود إلا العاطفة الصادقة الخارجة من أعماق النفوس .

الشعر

لعبد الرحمن شكرى

عبد الرحمن شكرى : — أحدالشعراء العصريين من دعاة مذهب التجدد فى مصر . نبغ فى الشعر صغيراً ، ونظم فى الموضوعات الجديدة محتدياً شعراء الافرنج . ولقد ألف كتاباً (فى أدب الشعر) نم عن اطلاعه الواسع فى هذا الباب ظهر له حتى كتابة هذه السطور سبعة دواوين صغيرة فيها قصائد عامرة بالمعاني المستحدثة والافكار العصرية. كما أن له كتابات تدل على فكر ينزع الى التحرر من ربقة التقليد السلبية فى الأدب والاجتماع والاخلاق . وبكلمة هو أحد الثلاثة أركان التجدد الأدبى فى مصر — العقاد والمازنى وشكرى — من الشباب الناهض كما أنه من العاملين على نقل الأدب الغربى الى العربية بالترجمة والحذو حذو أدباء الغرب فى الفكر والاسلوب .

ان وظيفة الشاعر فى الابانة عن الصلات التى تربط أعضاء الوجود ومظاهره ، والشعر يرجع الى طبيعة التأليف بين الحقائق ومن أجل ذلك ينبغى ان يكون الشاعر بعيد النظرة غير آخذ رواء المظاهر مأخذه نور الحق فيميز بين معانى الحياة التى تعرفها العامة وأهل الغفلة وبين معانى الحياة التى يوحى اليه بها الابد وكل شاعر عبقرى خليق بان يدعى متنبئاً أليس هو الذى يرمى مجاهل الأبد بعين الصقر فيكشف عنها غطاء الظلام ويرينا من الاسرار الجليلة ما يهابها الناس فتغرى به أهل القسوة والجهل

كل شىء فى الوجود قصيدة من قصائد الله والشاعر أبلغ قصائده .

الشاعر هو الذى لا يعيش مثل اكثر الناس مقبوراً فى الاحوال التى تحوطه . هو الذى اذا عاش كان له من شاعريته وقاء من عداء قتلى المظاهر فاذا مات كانت الشهرة زهرة على قبره فاذا لم تسعده شهرة هبطت روح الطبيعة على قبره تظلله بجناحها وتفرخ فوقه أبناءها الشعراء تلك الارواح التى تستمد الوحى من عظامه وتسقيه من دموع الرحمة والحب والحنان

وليس الشاعر الكبير من يفى بصغيرات الأمور ولكنه

الذى يحلق فوق ذلك اليوم الذى يعيش فيه ثم ينظر فى أعماق الزمن آخذاً باطراف ما مضى وما يستقبل فيجىء شعره أبدياً مثل نظرته وهو الذى يلج الى صميم النفس فينزع عنها غطاءها وهو الذى اذا قذف باشعاره فى حلق الابد ساغها فعيب شعرائنا جهلهم جلالة وظيفة الشاعر . لقد كان بالامس نديم الملوك وحلية فى بيوت الامراء ولكنه اليوم رسول الطبيعة ترسله مزوداً بالنغمات العذاب كى يصقل بها النفوس ويحركها ويزيدها نوراً وناراً فعظم الشاعر فى عظم احساسه بالحياة وفى صدق السريرة الذى هو سبب احساسه بالحياة وإذا رأيت شاعراً يأخذ الحقير مأخذ الجليل من الأمور ويحسب الحوادث الصغيرة من الحوادث الكبيرة فاعلم أنه ضئيل الشعر فان ضئيل الشعر يغتر بضجة الحوادث ولا يعلم أن حوادث النفس على صمتها أجل الحوادث

سئل وردزورث الشاعر الانكليزى عن شعر شاعر فقال انه ليس من الحتم فى شىء فكانه يقول ان أجل الشعر مايخاله المرء قطعة من الفضاء لابد من حدوثها فاذا أردت أن تميز بين جلالة الشعر وحقارته فخذ ديوانا واقرأه فاذا رايت أن شعره

جزء من الطبيعة مثل النجم أو السماء أو البحر فاعلم أنه خير الشعر وأما اذا رايته أكثره ضعة كاذبة فاعلم أنه شر الشعر فالشعر هو ما اتفق على نسجه الخيال والفكر ايضاحا لكلمات النفس وتفسيرا لها

فالشعر هو كلمات العواطف والخيال والذوق السليم فاصوله ثلاثة متزاوجة فمن كان ضئيل الخيال أتى شعره ضئيل الشأن ومن كان ضعيف العواطف أتى شعره ميتا لا حياة له فان حياة الشعر فى الابانة عن حركات تلك العواطف وقوته مستخرجة من قوتها وجلاله من جلالها ومن كان سقيم الذوق أتى شعره كالجنين ناقص الخلقة غير ان بعض الناس يحسب أن سلامة الذوق فى رصف الكلمات كانما الشعر عنده جلبة وقعقعة بلا طائل معنى أو كانما هو طنين الذباب ولا يكون الشعر سائرا الا اذا كان عند الشاعر مقدرة على التأليف بين اللفظ والمعنى ولست اعجب من أحد عجبى من الأدباء الذين ينظمون الشعر فى مواضيع تطلب منهم الكتابة فيها فينظمون من أجل ارضاء من سألهم ذلك كانما الشاعر آلة وزن ولكن الشاعر هو الذى لا ينظم

حتى تنوبه تلك النوبة التى تدفعه الى قول الشعر بالرغم منه فى الأمر الذى تهيأ له نفسه

قد اصبح الشعر عندنا كلمات ميتة ليس تحتها طائل معنى يحسب الناس انه اذا أخذ فى النحو والصرف والعروض كفاية واصاب من طرف الشعر غاية فقد أجاده وانما الشعر كلمات تخرج من النفس بيضاء مشبوبة وكما أن العاطفة تنطلق الشاعر كذلك قد تخرسه شدتها ومن أجل ذلك كانت ذكرى العاطفة والتفكير فيها شعراً وانما نعنى الذكرى التى تعيد العاطفة والتفكير الذى يحييها وليس شعر العاطفة بابا جديدا من أبواب الشعر كما ظن بعض الناس فانه يشمل كل أبواب الشعر وبعض الناس يقسم الشعر الى أبواب منفردة فيقول باب الحكم وباب الغزل وباب الوصف الخ ولكن النفس اذا فاضت بالشعر أخرجت ماتكنه من الصفات والعواطف المختلفة فى القصيدة الواحدة . فان منزلة أقسام الشعر فى النفس كمنزلة المعاني من العقل فليس بكل معنى منها حجرة من العقل منفردة بل تتزوج وتتوالد فيه فلا رأي لمن يريد ان يجعل كل عاطفة من عواطف النفس فى قفص وحدها، ومن القراء فئة كانها تريد ان تشم من شعر الشاعر

رائحة الدسم وان يملأ شعره بطون افرادها لاعقولهم كأن النفوس تقاس بالدرهم والدينار وكأن الشعر لايوزن الابالرطل والأقة وبعض القراء يهذى بذكر الشعر الاجتماعى ويعنى شعر الحوادث اليومية مثل افتتاح خزان اوبناء مدرسة اوحملة جراد اوحريق اوزيارة ملك او حفلة فى نادى الالعاب او مجىء طيار فاذا ترفع الشاعر عن هذه الحوادث اليومية قالوا ماله هل نضب ذهنه ام جنت عاطفته ام دجا خياله ويجعلون منزلة الشاعر على قدر عدد قصائده فى تلك الحوادث فاذا نظم احدهم قصيدتين فى الجراد كان عندهم اعلا منزلة ممن نظم قصيدة واحدة وليس ادل على فوضى الادب وفساد ذوق الجمهور من هذا الهراء كان الشعر جريدة منظومة اوكانما الشاعر مصنع لصنع الاوزان وانما الشاعر هو الذى يحاول أن يبلغ الى اعماق النفس وان يضرب على كل وتر من أوتارها والذى تسمو معه النفس عن تلك الحوادث الى سماء الشعر فينشقها نسيمه . وينعشها بنفحاته ويسمعها من الحانه ويريق عليها من ضيائه مايرفعها عن منزلة البهم الى منزلة الآلهة .

وهناك فئة تريد من الشاعر أن يكون أكثر شعره تكلفا للحكمة فياتى بامثال من بطون الكتب وافواه العامة نصفها

حق ونصفها باطل ثم يصوغها شعراً من غير أن يكون قد أحس لذعها فى ذهنه ولا شعر بقيمتها وشر الحكمة التى يتكلفها الوزانون وانما حكمة الشاعر تبدو فى كل قسم من أقسام شعره سواء الغزل والوصف والرثاء الخ فان شعر الشاعر مهما اختلفت ابوابه ينبىء عن نصيبه من التفكر وحكمة الشاعر تجاربه وخواطره في الحياة تلك الخواطر التى ينضجها الشعور والتفكير والشاعر لا يسير على رأى واحد لا يتعداه فان المذاهب الفلسفية ازياء تأتى وتروح مثل ازياء باريس والنفس اعظم من ازيائها ولكل حالة زى والشاعر لا يعبر عن عاطفة واحدة أو نفس واحدة بل يعبر عن عواطف متغايرة ونفوس متباينة فلا رأى لمن يريد ان يقيده بمذهب من مذاهب الفلاسفة يذود عنه ويتعصب له فان الشاعر يرى جانب الصواب من كل مذهب ويعبر عن كل نفس .

ولقد رأيت بعض القراء لا يفهم منزلة الغزل فى الشعر ان مزية الغزل سببها ان حب الجمال حب الحياة وكلما كان نصيب المرء فى الجمال أوفر كان نصيبه من حب الحياة أعظم وحب الحياة والجمال من العوامل الاجتماعية القوية التى تزجى الامم الى التفوق والاستعلاء ولا أعنى بالغزل نمزل الشهوات بل الغزل

الروحانى الذي يترفع عن أوصاف الجسم إلا مابدا للروح أثر فيه والحب أعلق العوطف بالنفس ومنه تنشأ عواطف كثيرة مثل البغض أو الود أو الرجاء أو اليأس او الحسد أو الندم او الشجاعة او الجبن او حب العلاء أو الجود أو البخل ومن أجل ذلك كان للغزل منزلة كبيرة فى الشعر من حيث هو جماع العواطف ومظهر دروسها فالغزل يعبر عن جميع العواطف النفسية ومن حيث أن حب الجمال حب للحياة ترى فيه آراء الشاعر وكل ما يعتوره فى الحياة من الخواطر ويصيبه من التجارب وكل ما يسمو اليه فكره أو يحن اليه قلبه وكل ما يعالجه من اساليب الحياة وهذا الغزل الذى هو واسطة القلادة وسلك العقد وروح الشعر ليس من شروطه تعليق العاطفة بفرد من افراد الناس وقصرها عليه وان ذلك أدعى الى ظهورها فان الغزل الذى نعنيه سببه العاطفة التي تجعل المرء يحس الجمال احساساً شديداً فى جميع مظاهره سواء جمال الوجوه والاجسام او جمال الازهار والانهار اوجمال البرق فى السحاب اوجمال الليل ونجومه اوالصباح ونسيمه او جمال النفوس والاخلاق او جمال الصفات او الحوادث والوقائع او جمال الخيالات الذى يخلقها الذهن

وليست محبة الفرد للفرد إلا مظهراً من مظاهر هـذه العاطفة الواسعة التى تحنو على كل جمال يستجلى فى الحياة وهذه العاطفة الشعرية تفيض ضياءها على كل شىء حتى على جوانب الحياة المظلمة الكريهة فتحبوها جمالا فنياً مثل جمال الصورة البديعة التى يعجب المرء جمالها الفنى حتى ولو كانت صورة مذبحة اوجمال الانغام الحزينة التى تذيب القلب والشاعر الناسب مثل المصور انما يستملى من صورة الملاحة التى فى ذهنه ولقد سئل جيدو رينى المصور الايطالى من اين لك هذه الخلق المليحة التى تودعها صورك فقال لسائله انظر ثم اتى بشيخ قبيح واجلسه امامه نموذجا ورسم صورة فتاة مليحة كأنها قد جمعت بين جمال الملائكة وجمال الحور ثم قال اترى فى هذا الشيخ الدميم مثل هذا الجمال نحن اصحاب الفنون نحمل فى نفوسنا دنيا اجمل من هذه الدنيا ومايدرينا لعل قيسا نن الملوح كان يشبب بليلى التى فى الدنيا التى فى نفسه لا بليلي العامرية

كان جيتى الشاعر يقدر الاشياء والناس بقدر ما يستفيد من رؤيتهم ولقائهم من صفات الشعر ومواضيعه وعواطفه وقصصه وبواعثه فاذا رأى عجوزاً تسعى اوشيخاً هرماً او فتاة او طفلا اوفقيراً

او غنياً الخ عدهم كلهم بواعث من بواعث الشعر مهما اختلفت صفاتهم وكان يخزن من رؤيتهم ما اكتسبه ساعة الشعر والالهام فان رؤيتهم تبعث على التفكير وتوقظ الملكة الفنية او كانما رؤيتهم ريح تهيج أمواج نفس الشاعر فيعلوها درها واصدافها وكذلك يهيج الشاعر الى الشعر لذاته وآلامه فيصوغ الشعر من لذاته وآلامه وآماله كما يصوغه من لذات الناس وآلامهم وآمالهم .

فصل فى أن الشعراء كماليون

يحكى أن روناتلى الايطالى صنع دمية فأجاد صنعها فلما رآه استاذه قال له مازحا ما ينقصها غير أمر واحد ثم كتمه عنه حتى مرض روناتلى من الاسف عليه والفكر فيه وحتى أشرف على الهلاك فدعا استاذه وقال له قد رأيت مابي من الداء واني مائت اليوم أوغد فأخبرني أى نقص رأيت فى دميتي قال ماينقصها غير الكلام فقام المريض محموماً حتى اطل على دميته وقال تكلمى تكلمي فما ينقصك غير الكلام ثم وقع ميتاً . وكل ذى فن فى فنه مثل روناتلى فى طموحه الى مرتبة الكمال وانما يجيب حسب فضل الملكة المهذبة التي يسترشدها من نفسه لا لانه يقصد إلى ما أولع به الناس مما يستفز اعجابهم فان اعجاب الناس وان كان حبيباً يتطلب بارضاء ملكته المهذبة لا بارضائهم ويأمل أن يقنعهم ما أقنعه من نفسه وهذا سبيل أثره فيهم الذى يأمله فى حياته أو بعد موته وسواء أكبر الناس شعره أم أصغروه فانه يعيش بحسرة على ما يعجز عنه وبلهفة على ما لم يقل وان جل ما يقول ومن هنا ولج التحاسد الى أفئدة الشعراء فان الشاعر يعالج حسرة

على كل فوز لم يفزه وطائر أمل لم يقنصه فان نفس الشاعر طماحة أبداً وخليق بمن يعرف أن فوق كل إجادة إجادة أن لا يدع للحسد سبيلا الى قلبه وان يعد كل قصيدة جليلة فوزاً يزهى به عالم الحسن على عالم القبح ونصراً أصابته الحياة على الموت غير مفرق بين قائل وقائل فى الاعجاب الذى يتقاضاه الشاعر بل يتقاضاه شعره

الا وان أجل شعر شكسبير هو ما كان يحلم به شكسبير ويود لو قيده بقيود الكلام وليس أجل شعره مايعجب به الناس ويعجب منه فان كل حسن فى الفنون عنوان لحسن وكل فوز وعد بفوز فان الشاعر ليرى فى نفسه القصائد التى يحلم بها كما يرى العاقر أبناءه الذين لم يلدهم أو كما كان ميشيل انجلو يرى الدمى التى لم ينحتها كانها محبوسة فى الصخر الاصم الذى يلمسه بعد وقد ورد عن كثير من كبار ذوى الفنون ما يثبت هذا الظمأ الذى هو خير لشعر الشاعر شر لنفسه

ولو كانت الحياة شجرة لكان الجمال زهرها والشعر طائرها ولولا الشعر افتقد جمال الحياة وكل حى شاعر بمقدار مايحس الجمال فى الاشياء والاخلاق والاعمال التى ينشدها والعالم عالمان عالم الجمال وعالم القبح وكل منهما ممتزج بأخيه. منعدم فيه والشاعر رسول

الجمال يسعى في تحقيق عالمه وإنما الخير ضرب من الجمال والشر ضرب من القبح والشاعر يعرف أن الشر محتوم ولكنه يعرف ان من الحتم أيضا الطموح الى ما وراء الشر المحتوم من الخير المحتوم ومن اجل ذلك كان كل شاعر كماليا سواء أعرف أم لم يعرف وهو اذا نبذ عقيدة اقتران الجمال والخير انما ينبذها شوقاً اليها كما يهجر المحب عشيقته من هجرها إياه وانما الحياة أو الحق كالميزان لا يعتدل أعلاه إلا اذا استوى جانباه . ومن أجل ذلك صار الشاعر يعدل بطموحه وخياله وجمال شعره جانب الذين لا يعرفون قروض الشعر ومنزلته فى الحياة كما يعدل كل نقيض نقيضه وهذا أساس الحياة ألا ترى كيف عدل عيسى عليه السلام روح الاثرة فى دولة الرومان وكيف ان رفض شوبنهور للحياة يعدل تقديس نيتشه إياها وتقديس كل ما تغرى به ومنزلة السعادة فى الحياة كمنزلة الشعر من النثر والذين يسعون فى نصرة الخير واستخلاص السعادة التى فيما دون المجال يأخذون نثر الحوادث فيجعلونه أوزاناً وأنغاماً ومن أجل ذلك يتغنى الشاعر بالبطولة ورجالها الذين يشايعونه فى مداواة قبح الحياة ولو لم يكن فى زرعه من المكافحة كى يستخلص

من الحياة جمالها إلا التغنى بما يلهى المكافحين ويليح لهم بمثال الجمال المنشود أو تحذيرهم باليأس والسخر إذا استناموا الى الامل أو اتخذوا منه مرقداً لكفى . ولاريب أن شعر الشاعر ابن طبعه ومزاجه وان الشعر ضروب متغايرة . وذلك لا ينفى ما ذكرنا . هذا شكسبير ما ترك جانباً من جوانب النفس وهو من رحب النفس بحيث يسع الجرم والمجرم ولكنك لا تجد فيه تزييناً للباطل إلا على لسان أهله وصفاً لهم كما انك لا تجد فيه وعظ من لا يرى إلا جانبه من الحق وانما نريد بذكر ما ذكرنا أن الرغبة فى الشعر من أجل انه شعر لا من أجل مقصد خلق حق اذا عنى الراغب ان الشاعر ينبغى أن لا يتجاوز أصول فنه التى يهيء بها لذات الفنون كى يبلغ من النفس مبلغه من التأثير فيها بتلك اللذات وأما إذا قيل أن الشعر لهو ساعة فهذا قول من اللغو .

نفس الشاعر

بقلم السيد مصطفى لطفى المنفلوطي

السيد مصطفى لطفى المنفلوطى « أمير النثر العصرى » كما تدعوه مجلة الهلال . أحسن وصف له قول احمد بك لطفى السيد .

« من اشياخ البيان عندنا السيد مصطفى لطفى المنفلوطي . أكاد لااجد له فى طريقته مثيلا بين كتابنا فانه يمتاز بالمساواة وقل من يعرف المساواة، يمتاز باستعمال الفاظ الخصوص فلا يلبس معنى الالفظه الذى يكاد لايشاركه فيه معنى آخر يطرق الموضوعات الصعبة البعيدة فيقربها من القارئ ويجعله يظن انها من مألوفاته ولم تكن كذلك من قبل »

ويروى أن سعد زغلول باشا بطل الوطنية المصرية فى هذا العصر كثيراً ما كان يقول للسيد المنفلوطى « انى لأرى لك فى كتابتك شخصية اتمنى أن أجدها كثيراً فى اقلام الكاتبين »

اما ترجمته فهى بليغة متينة من حيث الاسلوب العربى — لان الرجل لايعرف من اللغات الاجنبية شيئا — ولكنها ممسوخة من حيث الأصل الافرنجى . ولوأوتى قدرة على ابتكار المعاني توازى قدرته على ابتداع الاساليب المحكمة لكان إمام الكاتبين بلامنازع —

الأستاذ السيد مصطفى لطفي المنفلوطي

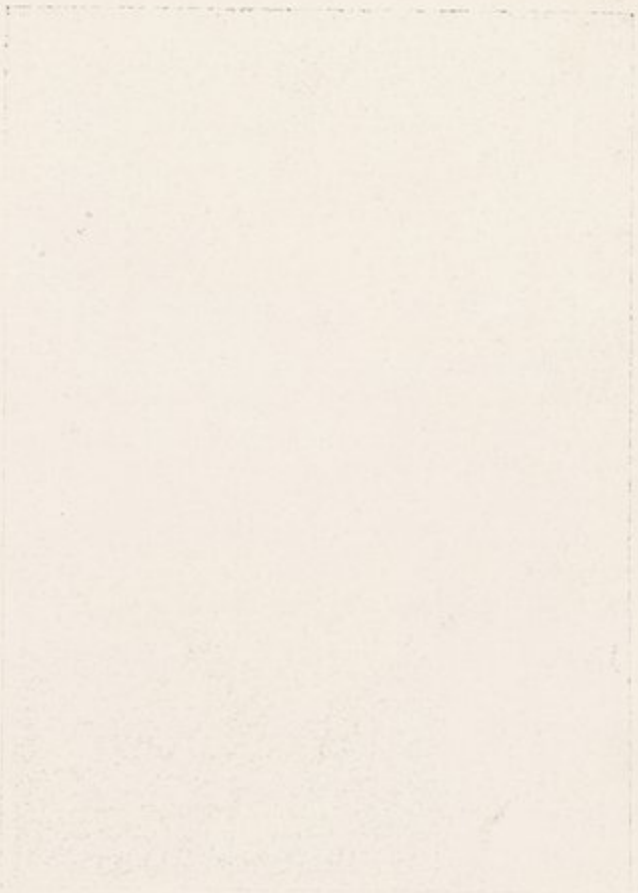

للشاعر ثلاث مميزات لا أستطيع أن أتصور ان الله وهبه ملكة الشعر وأفاض عليه روحه اذا تجرد من واحدة منها : « عزة النفس » و « طهارة القلب » و « سماحة اليد » . واجتماع هذه الصفات فيه هو السبب فى بؤسه وشقائه وعدمه واقتاره . لان صاحب النفس العزيزة لايحتمل منة لاحد . وصاحب القلب الطاهر لايعرف كيف يتلمس وجوه الحيل لعيشه . والكريم لا يبقى على شىء مما فى يده .

ولقد صور الروائى العظيم « أدمون روستان » عزة نفس الشاعر وإباءه وهى الصفة الاولى من تلك الصفات الثلاث احسن تصوير فى قطعة بديعة من رواية « سيرانو دى برجراك » أقدمها للقارئ لتكون مثلا صالحاً للشعراء يتخذونه فى حياتهم الأدبية وميزانا يزن به الناس قيمة الشعراء ومنزلتهم من الشعر والادب

* * *

أعجب الكونت دى جيش أحد قواد الجيش الفرنسى وصهر الكردينال ريشليه وزير فرنسا الشهير بالشاعر العظيم « سيرانو دى برجراك » حينما رآه يرتجل على مسمع منه قصيدة بديعة من اعلى طبقات الشعر وأرقاها . فقال فى نفسه ان اصطناع

شاعر مجيد كهذا الشاعر حلية جميلة لاينبغى أن يفوتنا التحلى بها . ثم استدناه اليه وكان جالساً على كرسيه العالى جلسة العظمة والكبرياء، وقال له : أتحب أن تكون لى ياسيرانو ؟ فامتعض الشاعر امتعاضاً شديداً ونظر اليه نظرة جامدة قاسية وقال له: لاياسيدى ولا لأى انسان . قال : ان صهرى الكردينال يعجب بك جداً . وكثيرا ماسمعته يثنى عليك وعلى أدبك . وقد علمت أنك نظمت منذ عهد قريب رواية تمثيلية جميلة اسمها « أجريبين » لم توفق الى تمثيلها حتى اليوم . فلوأنك ذهبت بها اليه وقدمتها له لعرف لك فضلك فيها . وأحسن جزاءك عليها . وربما نوه بشأنها وشاد بذكرها فاهتمت الملاعب بتمثيلها وتم لك ماترجوه لنفسك من المجد والفخار والرجل كما تعلم شاعر جليل راسخ القدم فى النقد الأدبى . وسينظر فى روايتك هذه نظر الناقد البصير ولااحسبه يضن عليك بتهذيب مايحتاج الى تهذيب من ابياتها فتأتى آية الآيات فى حسنها وجمالها . فاكفهر وجه سيرانو وتغضن جبينه وقال له : ذلك مستحيل ياسيدى وان دمى ليجمد فى عروقى عندما اتخيل أن انسانا فى العالم يحدث نفسه بتغيير حرف واحد فى قصيدة من قصائدى . فعجب

الكونت لأمره وقال له : ولكنك تعلم من شأنه أنه حين يعجب ببيت من الشعر يدفع ثمنا غالياً . قال : ربما كان ذلك صحيحا . ولكنه لا يستطيع أن يبذل فيه من الثمن مثلما ابذل . لانى اسكب فى شعرى دم قلبى حاداً . ودم القلب أغلى ثمنا من الفضة والذهب . فقال يظهر لى انك ابى النفس ياسيرانو . قال : نعم ياسيدي مافى ذلك شك وانى احمد الله على انك قد شعرت بذلك . فاستشاط الكونت غضبا وقام من مجلسه ساخطا . وهو يعجب اشد العجب لكبرياء هذا الرجل الذى يرفض قبول نعمة تسيل على مثلها نفوس الشعراء والروائيين جميعا .

وكان لبريه صديق سيرانو جالسا بجانبه فأخذ يعنفه بعد انصراف الكونت ويلومه على حمقه ورعونته وينعى عليه خشونته وغلظته ويقول له : انك قد اضعت فرصة كان جديرا بك أن تفترصها حين لاحت لك . فقد كنت فى اشد الحاجة الى من يرفع لك شأن روايتك وينوه بذكرها ويمسح عن رأسها غبار الخمول والضعة ويأخذ بيدك فى طريق المجد الذى تحبه وتتعشقه فماذا أنت صانع بعد ذلك ؟ فانتفض سيرانو غيظا واستوى فى مكانه جالساً والقى على صديقه نظرة طويلة هادئة

وأنشأ يقول له بصوت قوى رنان :

ماذا تريد منى يا لبريه ؟ أتريد أن أعتمد فى حياتى على غيري وان أضع زمام نفسى فى يد عظيم من العظماء أو بنيل من النبلاء يصطنعنى ويجتبينى ويكفينى مؤونة عيشى ويحمل عنى هموم الحياة وأثقالها فيكون مثلى فى الناس كمثل شجرة « اللبلابا » فى النبات تلتف بأحد الجذوع تلعق قشرته وتمتص مادته بدلا من أن تعتمد فى حياتها على نفسها؟

أتريد أن أحمل نفسى على عاتقى كما يحمل الدلال سلعته وأدور بها فى اسواق المساومة منادياً عليها : من منكم أيها الاغنياء والاثرياء والوزراء والعظماء وأصحاب الدالة والجاه يبتاع نفساً بذمتها وضميرها وعواطفها ومشاعرها بلقمة عيش وجرعة ماء ؟

أتريد أن انصب نفسى سخرية فى الاندية الخاصة والمجتمعات العامة . ألعب كما يلعب القرد وانطق كما تنطق الببغاء . وأتلون كما تتلون الحرباء ، رجاء ان اجد التفاتة من عينى أمير أو أرى ابتسامة على شفتى وزير ؟

اتريد ان تستحيل قامتي المعتدلة الى قوس من كثرة الانحناء وان تتهدل أجفاني من كثرة الاطراق والاغضاء وان تتكون

فوق ركبتى طبقة سميكة من كثرة الركوع والسجود بين أيدي العظماء ؟

أتريد أن يكون لى لسانان ؟ لسان كاذب أمدح به ذلك الذى اصطنعنى واجتبانى . ولسان صادق اعددبه عيوبه وسيئاته . وان يكون لى وجهان ؟ وجه راض عنه لانه يحسن الي ويحمينى ووجه ساخط عليه لانه يستعبدنى ويسترقنى ؟

أتريد أن أقضى حياتي كلها وقفا فى مكاني ارثب فيه واطفر واتطاول بعنق ليتوهم الناس اني طويل

وما أنا بطويل ؟ أو أن أتخذ لى بوقاً ضخماً أنفخ فيه ليتوهم السامعون انى جهورى الصوت وما أنا الا نافخ فى بوقه ؟

أتريد أن أسير سفينة شعرى فى العالم كما يفعل جماعة الشعراء وانروائيين باذرع العظماء والكبراء بدلاً من المجاذيف التى انحتها بفأسى وبشعور الدوقات العجائز البيضاء بدلاً من الاشرعة التى أنسجها بيدى . وبتنهدات الاميرات العاشقات بدلاً من الرياح الجارية التى يسخرها الله لى ؟

أتريد أن أجعل حياتى الادبية تحت رحمة المقرظين والناقدين والراضين والساخطين ؟ فان شاءوا رفعوني الى علياء السماء وان

شاءوا هووا بى الى أعماق الجحيم ؟

ذلك مالا يكون . والموت أهون علي من ذلك .

أريد أن أعيش حراً مستقلا لا أخشى أحداً ولا أهاب شيئاً . لا يعنينى تهديد الجرائد التجارية الساقطة . ولا يفرحنى أن تنشر الصحف الكبيرة اسمى بالاحرف الضخمة فى أكبر أنهارها. ولا أبالى أتداول الناس قصائدى وتدارسوها ورنت نغماتها فى ارجاء المسارح . أم بقيت فى جرار خزانتى أقرأها بنفسى لنفسى واتغنى بها فى ساحات وحدتى وخلوتي .

أريد أن أعيش حراً مطلقاً . أضحك كما أشاء وأبكى كما أريد . واحتفظ بنظرى سليماً وصوتى رناناً . وخطواتى منتظمة. ورأسى مرتفعاً . وقولى صريحاً . أنظم الشعر فى الساعة التى اختارها وفى الشأن الذى أريده . فان أعجبنى ماورد علي منه فذاك والا تركته غير آسف عليه وأخذت فى نظم غيره بدلاً من أن أتوسل الى الطابعين أن ينشروه والادباء أن يقرظوه . والممثلين أن يمثلوه والعظماء أن ينوهوا به ويرفعوا من شأنه .

أحب ألا أنظم من الشعر الا مايجود به خاطرى . ولا أنظم الا بالطريقة التى أريدها أنا لا التى يريدها الناس لى أى أننى

آنف أن أمتع نظرى ألا بمنظر الازهار التى أغرسها بيدى فى حديقتى كما أحب واشتهى فان قدر الله لى منزلة فى الحياة فلن أكون مديناً بها لأحد غيرى ولن يكون فخرها عائداً الا على وحدى . ولا أسمح لاحد من الناس كائناً من كان أن يرفعني . بل لابد لى من أن أرفع نفسى بنفسى .

أريد أن أعيش حراً طليقاً أناضل من أشاء وأجادل من أشاء . وانتقد من أشاء . وان أقول كلمتى الخير والشر للاخيار والاشرار فى وجوههم لا متملقاً أولئك ولا متقيا هؤلاء

ان العبد المقيد بقيود الاحسان والنعم لا يمكن أن يكون حراً طليقاً . فليعفنى الناس من أنعمهم وصنائعهم . لانى لا احب أن أكون عبداً لهم ولا أسيراً فى أيديهم

وآخر ما أقول لك انى أفضل ان أعيش ممقوتاً مرذولا عند الناس على أن أعيش ذليلا مستعبداً لهم . ولا أحب أن ارتفع ارتفاع الزيزفون والسرو إذا كان اليد التى ترفعني غير يدي . وحسبى من الرفعة والشرف أن أنال منهما نصيبي في العالم على قدر ماتسمح به قوتى ومواهبي لاأزيد على ذلك شيئاً .

فقال له لبريه : عش بنفسك وحيداً كما شئت ولكن

لا تكن عدواً للجميع

قال : ربما أكون مغالياً فى ذلك ولكن مادعانى الى المغالاة فى المعاداة الا مغالاتكم معشر المتكلفين والمتخادعين فى المصادقة والموالاة . وتصنعكم فى استجلاب الخلان والاصدقاء وما يقضى الى التواد والتحابب الا يقضى لتلك الابتسامات الباردة الثقيلة التى تنفرج عنها شفاهكم كلما قابلتم صديقا أو عدواً شريفاً أو ضيفاً كريماً أو لئيما حتى أصبحت لا أحب شيئاً فى العالم حبى لبعض الناس ولا أكره شيئاً كرهى لحبهم لى وتوددهم الي .

هـذا هو حبى الوحيد الذى لا أعرف لنفسى عيباً سواه ولكنه عيب يعجبنى جداً ويلذ لى كثيراً . وانك لاتستطيع أن تدرك مقدار ما أجد من اللذة فى نفسى عند ما أسير فى طريق فاراه مملوءاً بنظرات البغض ملتهباً بنيران الحقد وأرى نفسى محوطا بنطاق محكم من قلوب الساخطين

ان الشتائم التى أسمعها واللعنات التى تصوب إلي فهي أشبه الاشياء عندى بذلك البرد المتساقط الذى يتناثر على ردائى من الجو ثم ينزلق عنه الى الارض فادوسه بقدمى

ان الصداقة الباردة المتفككة التى يسعى وراءها الناس

أشبه شيء : « باليافات » الايطالية اللينة التي تتموج حول الاعناق فتتموج الاعناق بتموجها . فهي وان كانت لينة مرنة الا أنها لافوام لها ولا جمال .

أما العداوة فهي الدرع الحديدية الصلبة التي تدور بالجسم فتحفظ كيانه وقوته وتمنعه عن أن يضعف أو أن يخور . وكل عدو جديد هو حلقة جديدة في تلك الدرع القوية المتينه . أوهي « الياقة » الاسبانية من جميع وجوهها . يعدها الناس غلا حديديا وهي في الحقيقة هالة منيرة . اهـ

* * *

هذا هو المثل الذي ضربه « ادمون روستان » للشعراء والادباء ليكون عبرة لهم وميزانا لاقدارهم ومنازلهم . ولقدقضى سيرانو بقية أيامه بعد ذلك محافظاً على مبدئه لا يحمل منة لاحد ولا يمد يده بالسؤال لاحد . ولا يعطى هوادة في حق من الحقوق أومبدأ من المبادىء . ينتقد رجال الدين الذين يتجرون بدينهم . والاشراف الذين يمالئون الظلمة على ظلمهم وجورهم . فعاش فقيراً معدماً مضطهداً حتى مات موت المساكين المعوزين ولكنه عاش بعد ذلك في صفحات التاريخ عيش العظماء النابهين .

الشاعر

لتوماس كارليل

توماس كارليل — فيلسوف ومؤرخ وكاتب انكليزى ولد سنة ١٧٩٥ وتلقى مبادئ العلم فى مدرسة قريته ثم دخل جامعة ادنبرج فى الثالثه عشرة من عمره . وصار مدرسا للرياضة فى مدرسة (انان) سنة ١٨١٤ وله من العمر ١٩ عاما . ثم نصب رئيسا لمدرسة بعد ثلاث سنوات . وفى سنة ١٨١٨ ترك التعليم وولج جامعة ادنبرج فدرس علم المعادن وتعلم الالمانية . وعاش هذا الرجل ٨٦ سنة قضاها في التعليم ووضع التآليف النفيسة من فلسفة وتاريخ وترجمة والكتاب الذى اذاع صيته على الاكثر « كتاب الابطال » الذى ترجمه محمد السباعى الى العربية . وكذلك كتابه « تاريخ الثورة الفرنسية » وقد عرف في عالم الكتابة كاتبا خلا ومنشئا بليغاً ، متمكنا من اللغة ناصع البيان حسن الديباجة (وقد خلط المزاح بالشعر ولزم الخيال والمجون فى كتاباته وبلغ فى ذلك افضل ما يرام .)

الشاعر نابغة ولدته الاجيال السالفة ولا تزال الطبيعة تتمخض به الآن . فهو قوة تتجلى فى الكلام . وفكر كبير يسيل من رؤوس الاقلام . بل هبة من عواصف الازلية تظهر بمظهر الشعور والالهام — ذلك هو البطل الذى تعنو له الوجوه وتخر الركب . النبى الذى يرى مالا يرى ! الفيلسوف الذى يدرك مالا يدرك والملك العظيم الشان الذى صولجانه الحق ومملكته الاكوان . هو بطل الاجيال وموضوع تكريم البشرية — نفثت فيه القوة العليا روحها فكان فؤاده الكبير مقر القوة الازلية التى تلد العظمة على اختلاف أشكالها .

من اخترق حجب الحقائق ورآها كما هى ؟ من قرأ كتاب الوجود وفهم السر الاعظم الذى فيه ؟ من انتقل بقوة خياله الى ما وراء الطبيعة فادرك الغوامض ووقف على المخبآت ؟ هو الذى لقبه الاقدمون بالنبى ونلقبه نحن بالشاعر ابن الطبيعة الموحى إليه ورسولها المصطفى .

وما هو هذا « السر الاعظم » الذى يدركه الشاعر دون سواه ، قال الفليسوف الألمانى « فتحى » هو السر الذى يراه جميع

الناس ولا يفهمه أحد منهم — هو الصورة الغير المنظورة التى تتجلى في أجزاء العالم المنظور — كل مافى الكون من نجوم السماء الى رمال البحار مظاهر تشير الى تلك القوة الازلية التى كانت منذ البدء وستبقى الى الأبد . هذه القوة الجلية ماادقها على الاذهان وما أقل من يراها فى بنى الانسان ـ لهم عيون ولا يبصرون لهم آذان ولا يسمعون كان الكون المتجسدة فيه القوة الالهية جماد لا حياة فيه أو ذرات في الفضاء لا معنى لها

الشاعر من فهم هذا السر ففهم معنى الوجود وغاية الازل وحمل الى العالم رسالة الحياة والنور

هو يحمل النور لأنه يعيش فى النور وهو نبى السماء لانه ينظر الغير منظور ـ وماأشد اخلاصه فى عمله المجيد فهو لا يتلاعب بانباء الآلهة. وانى له ذلك . والمولود من جسد جسد هو واما المولود من الروح فهو روح ؛ الشاعر ابن النور يكره الظلام لان الظلام لا يتفق مع طبيعته .

غاية النبي وغاية الشاعر

يحمل النبي الى البشر رسالة الواجبات أما الشاعر فيحمل لهم رسالة الجمال : ذلك قرأ السر العظيم فانار للعالم طريق الناموس وهذا قرأه فانار للعالم طريق المحبة !

ماذا نعمل وماذا نحب . هاتان هما الرسالتان اللتان يحملهما النبي والشاعر الى العالمين . تأملوا زنابق الحقل كيف تنمو لا تتعب ولا تغزل ولكن أقول لكم ولا سليمان في كل مجده كان يلبس كواحدة منها ـ هذا هو صوت الشاعر والنبي ـ بل هو أعظم صوت إلهي سمعته الاكوان، ماهذه النظرة التي تخترق اعماق الجمال! زنابق الحقل نامية في الحقول ؟ ما أبهج ذلك المنظر وما أبهى تلك الحلل وأنى للارض الصخرية أن تأتي بمثل هذا الجمال لو لم يكن الجمال سر أسرارها وأقدس الحقائق الازلية فيها .

وليس الشاعر من حمل تلك الرسالة فقط بل من استطاع قراءتها فالذي يقرأ الشعر الحقيقي ويدرك مراميه شاعر وإن لم يكن من أهل القريض ومن الخطأ أن نحصر الشعر في فئة من البشر لمجرد الباسهم إياه حلل النظم الشائقة .

أتشعر بتلك النار الملتظية عند قراءتك « جحيم دانتي » أتفهم صورة الطبيعة البشرية فى درسك شكسبير ؟ اتسمع صلصلة السيوف وترنح بسكرة الرجولة من أنشدة المتنبي ؟ إذن فيك بعض من روح أولئك الابطال وان لم تكن قوتك معادلة لقوتهم .

الناس كلهم شعراء فى درجات متفاوتة وما النوابغ منهم إلا الذين وصلوا الى أعماق الوجود فرأوا ما لم تره عين وسمعوا ما لم تسمع به أذن . فهم فوق البشر لانهم أقرب الى الآلهة منهم وهم معبود الاجيال لأن الاجيال لا تدرك غايتهم .

الشعر والنظم

الافكار السامية نظما كانت أم نثراً مستمدة من مصدر واحد فكيف نفيد الشعر بالقافية والوزن ؟ نعم لابد من الموسيقى فى الشعر لأن الشعر فى الأصل نوع من الغناء ولكن الموسيقى الشعرية ليست موسيقى الالفاظ بل هى خاصة من خواص المادة الأصلية بها تتجلى حركات الجواهر وبها تظهر عواطف الطبيعة وكل ما هو عميق فى العالمين المادى والروحى راجع اليها ألا ترى

النفس فى هيجانها تعمد الى الوزن على غير قصد منها وأى كلام خال من نوع من الوزن الطبيعى ـ أية لغة لا تنفرد بنوع من الغناء . الوزن سر الوجود والجماد يشارك الاحياء فى هذا النظام. فليس الشعر الكلام المقفى الموزون بل هو الافكار الموزونة والشاعر الحقيقى من وصل الى هذا العمق ـ الى ناموس الوجود ـ الى الموسيقى الازلية فابرزها للعالمين .

* * *

رفع العالم القديم أبطالهم الى مصاف الآلهة فنصبوا لهم التماثيل وتقدموا اليهم بالقرابين وقد أبطل العلم اليوم هذه العبادة الساذجة على أنه لم يبطل الغرض الاصلى منها — ولم يمت الشعور الدافع اليها : البطل موضوع احترام البشرية في كل جيل ولئن كنا الآن لا نتقدم اليهم بالسجود كما نتقدم الى واجب الوجود فما ذلك لأن أكرامنا لهم لم يعد كما كان بل لأن صورة الخالق العظيم قد سمت فى عقولنا . حاشا للبشر وهم عقلاء أن يقتلوا تلك العاطفة الشريفة فيهم . فما الداء الذى يشوه الانسانية الا انحراف العالم عن تكريم الابطال الى الاكتفاء بمظاهر الفخفخة والجلال. ان العالم يحترم نابوليون ويضعه فى مصاف العظماء فماذا يرون فيه

وهو مثير الحروب ورجل الدماء ؟ أيحترمون قصوره وجنوده أم يحثون لتلك القوة الداخلية فيه التى لا يرونها فى سواه من الملوك والامراء ؟ وبارنس شاعر اسكوتلندا رجل حقير من البرية وهوذا العظماء والملوك يجلون اسمه ويخرون أمامه .

ما هذه القوة التى تتجلى فى ابطال العالم — ما هذا الشكل الذى تتخذه الطبيعة الازلية . وويل للبشر إذا ماتت قلوبهم وعميت بصائرهم فصاروا يحفلون بالظواهر دون الحقائق ويهتمون بالاعراض دون الجواهر .

(ترجمة مجلة المورد الصافى لصاحبيها
جرجس وانيس الخورى المقدسى)

أنشودة الشعراء

لجان كيتس [1]

أيها المغنون الذين تفصح اناشيدكم عن الذى يجيش فى القلوب من الشعور حازنه وساره .

لقد تركتم نفوسكم على الارض فهل لكم مثلها فى السماء تحيا فى تلك المغانى الجديدة حياة اخرى

* * *

اجل تناجى نفوسكم السموية النيرين فى فلكيهما وتمازج نجواها خرير الينابيع العجيبة صوت الاحاديث القاصف وهمس أرواح النعيم وكذلك يناجى بعضها بعضا وهى راتعة فى مروج السعادة يرعى حولها ظباء عشتاروت

(١) ولد هذا الشاعر الانكليزى سنة ١٧٨٥ وتوفى سنة ١٨٢١ . قضى حياة شباب فقط نظم فى خلالها من القصائد المفعمة خيالا وتصورا وجملا ذ« أناشيده » وقصيدتاه «ايزابلا » و« ليلة القديسة اغنس » من أبدع القصائد معنى ومبنى .

وتظللها الزنابق الزرقاء الكبيرة حيث يطيب شذا الورد الاقاح والورد هنالك عبير دونه ذكاء رائحة أوراد الارض ويتغنى العندليب بألحان مشجية خالية من تافه المعانى ومبهمها ومنطوية على الحقيقة الآلهية والنغمات الفلسفية اللطيفة واقاصيص الفردوس الجميلة وتواريخ النعيم الذهبية واسرار السماء الغامضة

فأراكم ايها الشعراء تحيون فى العلاء وكذلك تحيون على الارض والنفوس التى تركتموها وراءكم تعلمنا سبل العثور عليكم حيث تتنعم نفوسكم الاخرى فى بحبوحة السعادة من غير أن يغمض لها جفن أو تكفيها نعمة .

وأما ارواحكم المولودة على وجه البسيطة فما زالت تناجى البشر معلنة لهم قصير اجلهم وأحزانهم ومسراتهم ومحدثتهم عن آلامهم واحقادهم وعن امجادهم وعيوبهم وعن كل مايزيدهم قوة أو يفت فى ساعدهم .

الايها الشعراء اراكم لاتنفكون تعلموننا الحكمة فى كل يوم رغم بعدكم عنا .

* * *

فيا أيها المغنون الذين تفصح اناشيدكم عن الذى يجيش
فى الاكباد من الشعور حازنه وساره

لقد تركتكم انفسكم على الأرض فهل لكم أرواح فى السماء
مثلها تحيا فى تلك المغانى الجديدة حياة اخرى .

(ترجمة عبد المسيح وزير)

الشعراء

لألفرد ده موسه [1] (Alfred De Mousset)

ان الشعراء يصورون الحب ، كما يرسم المصورون الجمال وكما يخلق الموسيقيون أصوات الغناء هم لا يمثلون أجمل مرأى الكائنات ، وأبهى صور الطبيعة الا لأن لهم طبائع رقيقة وأمزجة حادة يهتاجها الذكر ، وانك لتراهم يرددون أحلى أناشيد الطبيعة ويقصون أحاديث سمرهم على الزهر والورد .

كان فى آثينا سرب من العذارى فصور بركستيل محاسنهن ولما أكمل بدائعه جعل يطيل النظر الى تلك الصور فرأى فيها عيباً فدأب على اصلاحه ومزج بديع الحسن برائع الجمال وجعل

(١) شاعر فرنسى رقيق يلقبه الادباء بشاعر الشبيبة أو شاعر الدموع لرقة شعوره وغزارة عواطفه السامية فى شعره البديع وقصيدته Roffelle - loi التى ترجمها الدكتور فياض وسليم نجار بقصيدتين ، من أشهر القصائد فى أدب الغرام ولد فى باريس سنة ١٨١٠ وتوفى سنة ١٨٥٧ .

من تلك المحاسن صورة واحدة مثلث لنا صورة الزهرة آلهة الجمال.

ان أول رجل اهتاجه لذيذ النغم ، فصنع آلة للغناء ووضع لها القواعد كان من قبل شاعراً يسترقه خرير المياه الصافية ، على ضفاف الأنهار ، ويسحره تغريد الطائر وترجيعه فوق غصون الاشجار.

(ترجمة معروف الأرناؤط)

من الشاعر الى المصور

للشيخ فؤاد الخطيب

يا من تطوع للتصوير يولينا
يداً صناعاً وألواناً أفانينا
يرمى بعين من البلور صافية
ما شاء من هدف لحاً وتبيينا
حتام تلتقط الاشباح سانحة
ولا تصور فيها بعض ما فينا
إنى ليطمح طرفى أن يطل على
نجوى النفوس وآلام المحبينا
وكيف يجري الهوى العذرى فى مهج
كادت تسيل دموعاً من مآقينا
وكيف تستعر الاشواق موقدة
بين الضلوع فتخفيها وتبدينا

يا حابس الطيف حبس الطير فى قفص
أين السرائر تمثيلا وتكوينا
لله أنت فصور غير محتشم
غيب الصدور ومكنون المرائينا
فهل هنالك غير الدود فى جدث
على رفات أناس فيه فانينا
أم العقارب بالاذناب شائلة
تحت الترائب تحريكا وتسكينا
أم الاراقم سال السم منبجثاً
منها وان قطرت أعطافها لينا
أم السباع الضوارى فى مسالخها
بين الفرائس تقتيلا وتوهينا
فانظر دخائلهم واحذر غوائلهم
ان كان علمك قبل اليوم تخمينا
ألست تبصر منها فوق أوجههم
ظلا يرف وسيماء تناجينا

فقل لقوم يرون الطيف ممتنعا
هذا هو الطيف عان بين ايدينا
كم مر منطلقاً كالبرق منصرفا
عنهم وغادرهم يبكون شاكينا
لقد نظرت بنور العلم مهتديا
فكنت فيه بنور الله تهدينا

مهلا وحسبك ما حاولت من أدب
وما خصصت به وشيا وتلوينا
فلو قدرت على تصوير خافية
لكان وردك زقوماً وغسلينا
فادع المعاشر واملأ من مظاهرهم
بيض المهارق تنميقاً وتزيينا
ولا ترعهم بما لو دار فى خلد
هجت الزلازل منهم والبراكينا

وان عييت بسر ان تلم به
فخذه من خالد الاشعار تلقينا

هيهات تسلم من صرف الردى صور
كر الجديدين يبليها ويبلينا

تم

فهرس

الجزء الأول

من كتاب سحر الشعر

صفحة		صفحة	
٣	كلمة لجامع الكتاب	١٨٤	الشعر والموسيقى - لامين واصف
٤	ترجمة الزهاوى	١٨٩	الشعر والشعراء — مقالات جمعها حليم دموس
١٧	محاضرة فى الشعر للزهاوى	١٩٩	الشعر — لمصطفى صادق الرافعى
٨٤	الشعر — لمعروف الرصافى	٢٠٩	الشعر والشعراء — لأنيس الخورى المقدسى
٩٧	أنا والشعر — له أيضا	٢١٦	الشعر — لعبد الرحمن شكرى
١٠١	خواطر شاعر — له أيضا	٢٢٦	ان الشعراء كماليون — له
١٠٥	الشعر والشعراء — لمجلة المقتطف	٢٣٠	نفس الشاعر — لمصطفى لطفى المنفلوطى
١٢٦	جبران خليل جبران — ترجمته	٢٤٠	الشاعر — لتوماس كارليل
١٢٨	أنا غريب فى هذا العالم — له	٢٤٧	أنشودة الشعراء — لجان كيتس
١٣١	الشعر والشعراء — له أيضا	٢٥٠	الشعراء — لالفرد دى موسه
١٣٤	الطبع والتقليد فى الشعر العصرى — لعباس محمود العقاد	٢٥٢	من الشاعر الى المصور — للشيخ فؤاد الخطيب
١٥٧	أقوال وملاحظات فى الشعر — له		
١٦٥	الشعر والشعراء — لميخائيل نعيمه		

تحت الطبع

١ — الثورة العراقية	« مزين بالرسوم »
٢ — تاريخ بغداد (جزآن)	«
٣ — خواطر عراقي	«
٤ — الأدب العصري (جزآن)	«
٥ — تاريخ الاستعمار الأوربي	«
٦ — الضرائر فيما يسوغ للشاعر	
٧ — المعارف المحمدية (أجزاء)	

متعهد نشرها وبيعها :

محمود حلمي

صاحب المكتبة العصرية في بغداد

893.78 B983

NOV 13 1985

NOV 16 1936